الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية (تاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

محن علماء المالكية في عهد الدولتين الأغلبية والعبيدية من القرن 3هـ إلى 5هـ/9م إلى 11م

إعداد الطالبين:

✓ رمضـــــان جمـــال

✓ بن زينب بو عبد الله

إشراف :

أ. بورملة عربية

لجنة المناقشة:

أ- عليلي محمد	رئيسا
أ- بورملة عربية	مشرفا
أ- تريكي فتيحة	مناقشا

السنة الجامعية 1441-1442هـ / 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{مِنَ الْمُومِنِينَ

رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُم مَّن قَضى نَحْبَهُ

وَمِنْهُم مَّنْ يَّنتَظِرُ

وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً}

سورة الأحزاب: 23

شكر وتقدير

إن الحمد لله نحمده ونشكره أولا على توفيقه لنا

لإنهاء هذا العمل، ثم نود أن نقدم شكرنا للأستاذة المشرفة بورملة عربية على ما خصتنا به من نصح وتوجيه جازاها الله تعالى عنا كل خير .

كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر والتقدير لجميع أعضاء لجنة المناقشة على ملاحظاتهم وتوجيهاتهم .

وفي الأخير كل الشكر والإمتنان للأستاذ صديقي محمد الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته وساهم أيضا في إتمام هذه الرسالة

فجازاه الله عنا كل خير .

إهـداء

إهدي هذا العمل المتواضع إلى

روح والدي رحمه الله وطيب ثراه وإلى

أمي العزيزة الغالية أطال الله في عمرها

وإلى كل الأهل والأصدقاء .

بن زينب بو عبد الله

إهـداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين

الكريمين وإلى كل أفراد أسرتي

إلى كل الأصدقاء الذين كانوا لي السند

إلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف

وإلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي

شكرا لكم جميعا .

رمضـــان جمـــال

قائمة المختصرات	
تق	**تقديم**
تص	**تصحيح**
مر	**مراجعة**
تع	**تعليق**
تح	**تحقيق**
اع	**إعتناء**
ص	**صفحة**
ص ص	**تعدد الصفحات**
ط	**طبعة**
د،د	**دون دار نشر**
د،ت	**دون تاريخ**
ج	**جزء**
ق	**قرن**
هـ	**هجري**
م	**ميلادي**

مقدمة

مقدمـــة

بعد أن فتح المسلمون بلاد المغرب الإسلامي، واستتب لهم الحكم فيها أواخر القرن الأول هجري، جعلوها جزءا لا يتجزأ من الدولة الإسلامية بالمشرق، وأصبحت بذلك مرتبطةً بالمشرق ارتباطاً لصيقاً في شتى المجالات، فكان كل مستحدث إلا ولبلاد المغرب نصيب منه سياسيا كان أو ثقافيا أو دينيا، ونظرا لطبيعة الإنسان المغاربي وعقليته فإن كل ما هو قادم من بلاد المشرق مرحب به، وقد كان للبعد الجغرافي عن مركز الخلافة عاملا هاما أيضا استغله أصحاب المذاهب كالخوارج والشيعة وحتى السنة كل حسب طموحه، والتي أغلبها كانت طموحات سياسية بغية تأسيس كيان يحوي مذهبهم، كما كان الحال مع بعض الفرق التي تمكنت من اقتطاع دويلات لها في المنطقة، كالمذهبين الصفري والإباضي اللذان أسسا الدولتين المدرارية والرستمية على التوالي، والمذهب الإسماعيلي الشيعي الذي أسس فيما بعد الدولة العبيدية أو ما يسمى بالدولة الفاطمية. وهناك أيضا من كانت له رغبة في كسب ود السلطان وتقلد المناصب، كالمعتزلة والأحناف في عهد الدولة الأغلبية، فأضحت بذلك بلاد المغرب مسرحا للتجاذبات والصراعات المذهبية .

وخلال القرن الثالث هجري، وفي عز الصراع والتنافس المذهبي الذي دب في المنطقة من أجل تكوين قاعدة جماهيرية صلبة تحمل وتحمي فكرهم، وتكون لهم المعين في تحقيق الأهداف المرجوة، دخل المذهب السني المالكي حيز المنافسة، والذي ما لبث أهل المنطقة أن أخذوا من رجاله الذين اتسموا بخصال الزهد والورع وصدق المعاملة والأمانة، حتى تأثروا بهم وآزروهم لتكون لهم الغلبة على سائر المذاهب الأخري، فتبنى العلماء والعامة هذا المذهب، لكن هذا الانتصار دُفِعَ ثمنه غاليا، وتجرع علماء المالكية عليه الويلات، فهذا يضرب وهذا يقتل وهذا يصلب وهذا يمنع من الصلاة ...إلخ، وحلت بهم نوائب عدة وعاشوا أيام شدة ما زادتهم إلا إصرارا وتحدي وصبرا على البلاء لتكون لهم حضوة عند العامة ونحن في هذه المذكرة الموسومة بـــ "**محن علماء المالكية في عهد الدولتين الأغلبية والعبيدية من القرن 3هـ إلى 5هـ**" نروم من خلالها لإبراز وتسليط الضوء على قضية تاريخية بمزيج

سياسي ومذهبي عقائدي، قضية كان علماء المالكية طرفا فيها، تعرضوا خلالها لأنواع وأشكال الاضطهاد المسيس في فترتين متتاليتين، فالأولى كانت أيام بني الأغلب على يد الأحناف والمعتزلة وأمراء بني الأغلب، أما الفترة الثانية والتي تعد من أفضع وأحلك الأيام التي عاشها المالكية على يد بني عبيد الشيعة الإسماعيلية.

تكمن **أهمية الموضوع** الذي بين أيدينا في كونه دراسة تاريخية تصف لنا الجوانب المظلمة من الحياة السياسية والاجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي، فهي تتطرق لقضية مذهبية بصبغة سياسية، في فترة تعد من أحلك المراحل التي عرفتها المنطقة، فترة صراعات وتكالبات مذهبية لبسط النفود ونيل الرياسة، وقد افردنا عنصر المالكية على غرار باقي العناصر المتناحرة لما تميز به هذا العنصر فكريا وعقائديا وأخلاقيا، ميزات تناقضت مع المذاهب الأخرى جعلت منه عالة عليهم وعقبة في طريق تسيدهم البلاد، وبات القضاء عليه ضرورة حتمية لابد منها .

إن من جماليات أي بحث أكاديمي **الأسباب** التي تدفع الباحث للخوض فيه، فلكل عمل باعث ودافع، كانت دوافعنا تتمثل في إنشغالنا بموضوع المالكية وتسيده لبلاد المغرب الإسلامي إلى يومنا هذا، بالرغم من التحديات التي اعترضته والتضحيات التي قدمها رجاله، فمن خلال بحثنا في أسباب إنتشار المذهب بالمنطقة لمسنا إهمالا كبير لدوره الفقهاء المالكية في ذلك، فهم الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل إحياء العقيدة الصحيحة وذب كل مبتدعات الفرق الدينية والكلامية، لكن بالنقيض من ذلك نرى أن جل من كتب في المذهب المالكي وانتشاره يرجع السبب إلى العامل السياسي أو عامل السلطان، فأردنا بذلك إماطة اللثام عن حقيقة تسيد هذا المذهب وسبب تعلق سكان بلاد المغرب به ألا وهي تضحيات رجال المذهب المالكي في سبيل نشر العقيدة الصحيحة .

كما لكل عمل أسس ومنطلقات كان لبحثنا هذا أساسات بنيناها عليه وهي عبارة عن دراسات كان أصحابها قد سبقونا بطرق عناوين مقاربة لموضوعنا أو تتطرق لجوانب

تضمنها بحثنا كمذكرة ماجستير نوار نسيم الموسومة بـ "**النزاع السني الشيعي وأثره في تجديد المذهب المالكي**"، ومذكرة ماجستير لحفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية (2-5هـ/8-11م)**، وكذلك مذكرة الماجستير لبن زاوي طارق الموسومة بـ "**إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/ 1016-1062م)**"، إضافة إلى بعض المقلات والرسائل التي لا يسعنا ذكرها كلها .

وقد كانت **إشكالية** هذا الموضوع كالتالي: إلى أي مدى كان للخلاف الفكري العقائدي والتعصب المذهبي تأثير في توليد الضغينة التي ما لبثت أن تحولت إلى عمليات قتل وتصفية في حق العلماء المالكية؟.

وقبل التساؤل عن حيثيات الاضطهاد لا بد أن نتساءل عن هوية هذا المذهب، فأين يكمن جوهر هذا المذهب؟، وكيف عرف طريقه إلى بلاد المغرب؟، وما العوامل المساعدة في استقراره بالمنطقة؟، ثم ماهي المحن التي تجرعها المالكية؟، وما أسبابها؟، وفيما تمثلت ردود فعل العلماء المالكية على الاضطهاد الذي تعرضوا له؟، وهل تمكن المذهب المالكي من إلغاء المذاهب الأخرى والانتصار أم بقى بقي يتوارث بين أصحابه فقط؟، وهل كان للاضطهاد دور في تكوين قاعدة جماهيرية؟ كيف ساهم الصراع في إنعاش الجوانب الحضارية الأخرى كالجوانب الفكرية؟ .

ومن أجل الخروج بعمل حسن اعتمدنا بعض **المناهج** لذلك، والتي تخدم الموضوع من حيث طبيعته، فكان أبرز منهج اتبعناه هو المنهج "**الإستقرائي**" الذي يتماشا وطبيعة موضوعنا المبني على إستقراء وإستنطاق المصار المصار المتعددة لأجل البحث فيه، لسرد ووصف أحداث ووقائع عاشها الفقهاء المالكية أيام الدولتين الأغلبية والعبيدية ورصد مخلفات هذا الصراع على عدة جوانب، كما اعتمدنا على "**المنهج التحليلي**" بغية تحليل بعض الأحداث والمتعارفات التارخية وبلوغ أحكام منطقية مبنية على حقائق تاريخية كأسباب وعوامل انتشار المذهب، ضف إلى ذلك "**المنهج المقارن**" الذي إعتمدنا عليه في ابراز

الفروقات بين العهدين –الأغلبي والعبيدي– من حيث طرق الاضطهاد والمقاومة التي عاشها علماء المالكية في العهدين.

وعملا بالشروط المنوط بها في كل بحث أكاديمي قمنا بتقسيم هذا البحث إلى ثلاث فصول لتجيب عن التساؤلات الآنف ذكرها، تتذيلهم خاتمة تحوي أهم النتائج المتوصل إليها.

فكان الفصل الأول معنوناً بـ "**المذهب المالكي وعوامل انتشاره ببلاد المغرب الاسلامي**" والذي أفردناه للتعريف بالمذهب المالكي بداية بصاحبه مالك بن أنس وكذلك أصول المذهب والتي تعتبر لب المذهب وجوهره، وعصارة فكر صاحبه، وأيضا تطرقنا للأسباب التي كانت وراء انتشار هذا المذهب ببلاد المغرب الإسلامي التي تبعد جغرافيا عن مهده أي المدينة المنورة، وعرجنا في الأخير على أبرز أعلام المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي .

والفصل الثاني كان بعنوان "**صراعات وتحديات الفقهاء المالكية في عهد الدولة الأغلبية**" وفيه سلطنا الضوء على صراع متعدد الأوجه كان المالكية الطرف الثابت فيه أمام كل من المعتزلة والأحناف وحتى مع الأمراء الأغالبة، لما بدر منهم من تبني للمستحدثات في الملة كمسألة خلق القرآن وشرب النبيذ ومتغيرات عدة في الجوانب الفقهية، وقف لها الفقهاء المالكية موقف الرادع فتعرضوا لوابل من التضييقات والإضطهادات، كما عرجنا على انعكاسات هذا الصراع على المالكية الذين كان انتصارهم في مزاحمة الأخيرين على مناصبهم .

أما الفصل الثالث فعنوناه بـ "**نائبة المالكية وكفاحهم ضد الشيعة الإسماعيلية**" حمل في طياته تفصيلا في العلاقة المتبادلة بين الكتلتين الشيعية والمالكية من مناهضات ومناظرات ومنازعات واضطهاد، كما حمل هذا الفصل عديد الصور التي تسرد مجازر الشيعة في حق المالكية، وتطرقنا أيضا إلى مناهضات العلماء المدنيين ومشاركاتهم في

الحركات المعارضة للعبيديين، وكيف كان للصراع من انعكاسات على الجوانب السياسية والفكرية .

نقد المصادر: لقد اعتمدنا في إعداد هذا البحث على عدة مصادر ومراجع مختلفة تنوعت وتعددت بين كتب الطبقات والتراجم و كتب التاريخ العام وكتب الفقه فتفاوتت المصادر من حيث الأهمية وهي كالآتي:

***كتب الطبقات والتراجم:** تعتبر كتب الطبقات والتراجم من المصادر البالغة في الاهمية ليس لكونها منبعا لتراجم العلماء والأعيان وسيرهم فقط، بل تعد مادة دسمة من الناحية التاريخية بمختلف جوانبها سياسيا وثقافيا ودينيا وحتى اقتصاديا، والتي يصعب في كثير من كتب التاريخ الحصول عليها، فكانت العماد الذي بنينا عليه دراستنا هذه ، فمن أبرز الكتب المعتمد عليها في هذا الموضوع:

-كتاب "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" للقاضي عياض(ت:544هـ) والذي يعتبر أهم مصدر اعتمدنا عليه حتى وإن كان متأخرا عن سابقيه وعن الفترة المراد دراستها، إلا أنه يعد أحسن المصادر منهجيا، فهذا الكتاب اختص بالتراجم لأعلام المذهب المالكي دون غيرهم من رجالات المذاهب الأخرى، فتسلسل زمنيا في ترجمة رجال المذهب المالكي الذي ابتدأهم بصاحب المذهب مالك بن أنس ثم تلاميذه وتلاميذ تلاميذه وهكذا دواليك كل حسب انتمائه الجغرافي، مبرزا أعمالهم وفضائلهم ومحنهم وتضحياتهم مع الفرق الأخرى كالفرقة الإسماعيلية، فسهل علينا انتقاء المادة وأثرى بحثنا لما قدمها لنا من معلومات سياسية كان العلماء المالكية طرفا فيها .

-كتاب "**طبقات علماء إفريقية وتونس**" لأبي العرب بن أحمد بن تميم التميمي(ت333هـ) الذي كان معاصرا للدولة الأغلبية، قدم لنا ترجمات لعديد من علماء إفريقية في العهد

الأغلبي، مبرزا آثارهم الدينية والعلمية والأدبية، ومما تمتاز به كتاباته الإيجاز، وإعطاء أهمية بالغة للسند .

-كتاب "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" للدباغ (ت696هـ)، يعد هذا المؤلف كذلك بالغ الأهمية كمدارك عياض، فقد أمدنا بمعلومات ثمينة سيما في الفترة التي شهدت انتفاضة وانتصار رجال المالكية بعيد رحيل العبيديين وكذلك فترة المعزبن باديس الصنهاجي .

-كتاب "**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**" لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت474هـ) الذي عاش في القرن الخامس هجري فنقل عن كثير ممن سبقوه كأبي العرب .

***كتب التارخ العام:** تأتي كتب التاريخ في الدرجة الثانية من حيث الأهمية في موضوعنا هذا، ومن أبرز ما اعتمدنا عليه:

-كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" ج1 لإبن عذارى المراكشي (712هـ) الذي يعد أهم وأبرز كتب التاريخ الخاصة ببلاد المغرب الإسلامي وأوثقها، وذلك راجع للمصادر والمصنفات التي اعتمد عليها المفقود جلها، وهو ما جعل الكتاب غني بالتفاصيل والتي أفادتنا كثيرا في إتمام هذا العمل.

-كتاب "**اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**" لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت542هـ) وهو كتاب حمل جملة من أخبار بنو عبيد، وعلى الرغم من صغر حجمه من أخبارهم وأورد أخبار هامة عن ثورة أبي يزيد.

الدراسات الحديثة:

أبرزها كتاب "**المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري-الحادي عشر ميلادي**" لنجم الدين الهنتاتي، يعد هذا الكتاب من الدراسات القيمة اختصها

بدراسة انتشار وتطور المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي، أفادتنا كثيرا تحليلاته المتعلقة بأسباب وعوامل انتشار المذهب المالكي .

-كتاب "**الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**" لعبد العزيز المجدوب الذي يعتبر من المراجع القيمة الثرية التي تناولت الصراع المذهبي الذي كان ببلاد المغرب، وقد أفادنا كثيرا في إبراز أنواع وأشكال الصراع بين المالكية وباقي الفرق، وفي المعانات التي تكبدوها على أيديهم .

-كتاب "**أصول فقه الإمام مالك أدلته العقلية**" للدكتور فاديغا موسى، بحيث يعد هذا الكتاب في الأصل مذكرة ماجستير للدكتور حازت على تقدير ممتاز في أصول الفقه من كلية الشريعة بالرياض، وهي فعلا كذلك إذ تحوي كما هائلا من المعلومات في أصول الفقه المالكي أفادتنا كثيرا في بحثنا هذا .

وقد واجهتنا أثناء قيامنا بإعداد هذا البحث عدة **صعوبات** لا يكاد يسلم منها أي باحث صعوبات حتمتها الجائحة التي مست العالم بأسره المتمثلة في فيروس كورونا أو ما يسمى كوفيد-19، وما خلفه هذا الوباء، لكن قدر الله ما شاء فعل ونحن بقضاء ربنا راضون .

كما كان لمشكلة الفروقات المصدرية مابين مؤلفات العلماء السنة والدعاة الشيعة والذين -أي الشيعة- أفردوا كتاباته لأسيادهم من ملوك بنو عبيد، وذكر مجالسهم وبطولاتهم واغفالهم تلك المجازر التي كانوا يقومون بها ضد مخالفيهم مذهبيا كالعلماء المالكية، فكانت المادة الشيعية غير خادمة للموضوع إلا في معرفة بداية تكون الفكر الشيعي وطريقه لبناء الدولة العبيدية وماسبقها من أحداث وما كان مع الدعاة الشيعة ودعوتهم ، فأهملوا بذلك ذكر حياة العامة والمجازر التي طالت الرعية لمخلافتهم المذهب، على عكس العلماء السنة الذين كانوا أقرب للرعية وطالهم أيضا جور الملوك، فكان إعتمادنا الأكبر على مؤلفات أهل السنة.

ومن الصعوبات أيضا هو صعوبة المصطلحات الفقهية المتعلقة بالإصول الفقهية للمذهب، والتي ليست إستهلكت لنا وقت كبير في دراستها بحكم عدم تخصصنا فيها.

الفصل الأول: المذهب المالكي وعوامل انتشاره ببلاد المغرب الإســلامـــي

1-الإمام مالك بن أنس (93-179هـ)

2_ أصول المذهب المالكي

3-أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي

4-أبرز العلماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي

يعد المذهب المالكي من أهم المذاهب الفقهية التي عرفها المسلمون عبر تاريخهم الإسلامي العريق بانتشاره الواسع في الآفاق شرقا وغربا، متسيدا لبعض المناطق، ومزيحا لمذاهب سبقته إليها وبسطت نفودها، كبلاد المغرب الإسلامي التي تمكن في وقت قصير من اجتياحها رغم الظروف السياسية والمذهبية التي كانت تشهدها، فإلى من يعود هذا المذهب؟ وماهو جوهره ؟ وماهي العوامل التي كانت وراء انتشاره الكبير في المنطقة؟ ومن هم أبرز أعلامه الذين حملوا على عاتقهم نشر هذا المذهب في بلاد المغرب الإسلامي؟

1/1-الإمام مالك بن أنس (93-179هـ)

***نسبه:** هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة[1] بالاتفاق، ومفتي الحجاز بالإطباق فقيه الأمة و سيد الأئمة، زكي الطبع والهمة، أول من صنف كتابا في الإسلام، جمع فيه شرائع الحلال و الحرام، ونظم عقود الشرع فيه أحسن نظام، بين فيه عيون الدلائل، وفنون المسائل في الأحكام ...[2]، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية[3] مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثَيْل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبَح[4] الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني الفقيه[5]، وأمه هي: عاليةُ بنت شريك الأزْدي، وأعمامه هم: أبو سهيل نافع و أويس والربيع، أولاد أبي عامر[6] .

---

[1]- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ج8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1971م، (د،ط)، ص48 .

[2]- أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي، **منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة و مالك و الشافعي وأحمد**، تح: محمود عبد الرحمان قدح، الجامعة الإسلامية، السعودية، 2002م، ط1، ص181 .

[3]- خير الدين الزركلي، **الأعلام** ،ج5 ، دار العلم للملايين، لبنان، 1980م، ط5، ص

[4]- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ط2، ص104.

[5]- شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج10، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، 1909، (د،ط)، ص5 .

[6]- الذهبي، المصدر نفسه، ص49 .

***مولده ونشأته:** ولد الإمام مالك بن أنس في خلافة سليمان بن عبد الملك وفي السنة التي توفي فيها أنس بن مالك [1] سنة ثلاثة وتسعين للهجرة، ولد بذي المرْوة[2]،ونشأ في صون ورفاهية وتجمل[3]، في بيت عرف باشتغاله بعلم الحديث، وتتبع الآثار، فجده مالك كان من كبار التابعين وعلمائهم، وثقاتهم، روى عن عمر، وعثمان، و طلحة، وعائشة، وأبي هريرة ... وكان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان – رضي الله عنه – المصاحف ... وأخوه النضر من العلماء، وكان مالك يعرف به في أول الأمر، فكان يقال: أخو النضر[4] .

وقد كانت البيئة العامة للبلاد الذي عاش فيه، وأظله سماؤها، وأقلته أرضها، توعز بالعرفان وتنمي المواهب، فقد كانت بيئة مدينة الرسول ﷺ، ومهجره الذي هاجر إليه وموطن الشرع، ومبعث النور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول...، هذه هي المدينة في وقت نشأ مالك كانت مهد السنن وموطن الفتاوي المأثورة اجتمع بها الرعيل الأول من علماء الصحابة ثم تلاميذهم من بعدهم[5] .

***طلبه للعلم و أبرز شيوخه:** اتجه الإمام مالك إلى حفظ القرآن الكريم فحفظه، وقد اقترح على أهله أن يحضر مجالس العلم كعمه وأخيه من قبل، ليكتب العلم ويدرسه، وقد أجابوا طلبه[6]، قال المطرف: قال مالك: قلت لأمي أَذهبُ فأكتب العلم، فقالت: تعال فلبس ثياب العلم، فألبستني ثيابا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن[7]، وقد أرشدته أمه إلى باب الفتح في العلم وهو الأدب، فقالت له: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه[8]، واجتهد في طلب العلم، و صرف في ذلك كل وقته

---

[1]– " أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار ، وإسمه : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار ، خادم الرسول ﷺ ، كان يتسمى به ويفتخر بذلك". ينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، لبنان، 2012م، ط1، ص7.

[2]– عبد الغني الدقر، **الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة**، دار القلم، سوريا، 1998م، ط2، ص21.

[3]– الذهبي، المصدر السابق، ص49.

[4]– محمد عز الدين الغرياني، **المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2010م، ص10.

[5]– الطاهر أحمد الزاوي، **الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية**، دار البيارق، عمان، 1999م، ط1، ص ص 18،19 .

[6]– محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، مصر، (د،ت)، (د،ط)، ص ص 367،368.

[7]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 130.

[8]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج1، ص 130.

وماله حتى نقض سقف بيته فباع خشبه[1]، وطلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرَة سنةً، وتأهَّل للفُتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعةُ وهو حيٌّ طريٌّ وقصدَه طَلَبةُ العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور[2] وما بعد ذلك وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات[3]، ولقد كانت لمالك عدة صور تنم عن الإصرار والاجتهاد و الصبر في طلب العلم من شيوخه منها ما يحكيها بنفسه فيقول: "انقطعت إلى بن هرمز سبع سنين، وفي رواية أخرى ثمان سنين، لم أخلط بغيره، وكنت أجعل في كمي تمر وأناوله صبيانه وأقول لهم: "إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا مشغول"[4] وكان قد اتخذ تباناً محشوا للجلوس على باب بن هرمز يتقي به برد حجر هنالك وقيل برد صحن المسجد وفيه كان يجلس بن هرمز[5]، وقال مصعب: كان مالك يقود نافعا من منزله إلى المسجد وكان قد كف بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع[6] .

لقد كان الإمام مالك –رحمه الله– شديد العناية بتتبع أحاديث النبي ﷺ، فكان ينتقي الرجال الذين يأخذ عنهم فلا يأخذ إلا عن ثقة ولا يحدث إلا عن ثقة، قال بن أبي أويس: سمعت مالكا يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه"[7]، وقال المطرف بن عبد الله قال: سمعت مالكا يقول: "أدركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم شيئا من العلم وإنهم لممن يؤخذ عنهم العلم وكانو أصنافا فمنهم من كان كذابا في أحاديث الناس ولا يكذب في علمه فتركته لكذبه في غير علمه، ومنهم من كان جاهلا بما عنده فلم يكن عندي أهلا للأخذ عنه، ومنهم من كان يرمي برأي سوء"[8] .

---

[1]– محمد بن علوي المالكي، **إمام دار الهجرة مالك بن أنس**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971م، ط2، ص17.

[2]– المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأمه أم سلامة البربرية، أم ولد، ولد سنة خمسة وتسعين، وأدرك جده ولم يروي عنه ... بويع بالخلافة بعهد من أخيه ... توفي سنة ثمانية وخمسين ومائة. ينظر: جلال الدين السيوطي(ت911)، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، لبنان، 2003م، ط1، ص 206 .

[3]– الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص55 .

[4]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص131 .

[5]– ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار التراث، مصر، (د،ت)، (د،ط)، ص99 .

[6]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج1، ص 132 .

[7]– ابن فرحون، المصدر نفسه، ج2، ص100 .

[8]– ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، مكتبة القدس، مصر، 1931م، (د،ط)، ص ص15،16.

وقد كان للإمام مالك –رحمه الله– عدة شيوخ[1] استقى منهم العلم وتأدب بأدبهم وهم كثر نذكر منهم:

–**ربيعة الرأي(ت136هـ)**[2]: لقد كان ربيعة الرأي أول الفقهاء الذين جلس إليهم مالك من علماء المدينة وكان إذ ذاك طفلا ثم عاد إلى الجلوس إليه بعدما نما عوده و بلغ مبلغ الشباب ... أخذ مالك من ربيعة الفقه والحديث والأدب، وكان لسلوك ربيعة وأناقته أثر في سلوك مالك وأناقته[3]، وكانت أمه وراء توجيهه للجلوس عند ربيعة، وقال الزبيري: "رأيت مالك في حلقة ربيعة وفي أذنه شَنف"[4] .

–**عبد الله بن هرمز(ت148هـ)**[5]: لقد كان بن هرمز الشيخ الثاني للإمام مالك وكانت فترة لزومه له تتوسط فترتي تلمذته لربيعة، وذلك طبقا لما يشير إليه تسلسل أخبار مالك، وقد لازمه سبع سنوات لم يخلطه بغيره فيقول مالك: "كنت آتي أبن هرمز بكرة، فما أخرج من بيته حتى الليل"[6] .

–**نافع الديلمي(ت117هـ)**[7]: الفقيه المحدث نافع، من المشايخ الأعلام الذين أخذ عنهم مالك فيقول محدثا عنه: "كنت آتي نافعا نصف النهار، وما تظلني الشجرة من الشمس أتحين خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم أعترض له فأسلم عليه وأدعه، حتى

---

[1]– ينظر : محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ،(د،ط)، ص54./ الذهبي، المصدر السابق، ص49./ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص 6 .

[2]– "هو ربيعة بن فروخ التميمي بالولاء، المدني، أبو عثمان، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرا بالرأي(وأصحاب الرأي عند أهل الحديث، هم أصحاب القياس، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدو فيه حديثا أو أثرا) فلقب بربيعة الرأي ...قال بن الماشجون ما رأيت أحدا أحفظ لسنة من ربيعة، وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه مالك توفي بالهاشمية من أرض الأنبار. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص17.

[3]– مصطفى الشكعة، **الأئمة الأربعة**، دار الكتاب المصري، مصر، 1990، ط2، ص351 .

[4]– ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص99 .

[5]– أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز، المتوفى في المدينة المنورة 148هـ ... كان بن هرمز مولى للسدوسيين ، وكان أعرج و أصم، وتلك الصفات لا تعيبه ولا تنال من قدره، فهو من الناحية العلمية علو الشأن وسمو المكانة بحيث ينتظم طبقة التالية لفقهاء المدينة السبعة المشهورين.ينظر: مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص ص 354،355 .

[6]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص132 .

[7]– "هو عبد الله نافع الديلمي مولى عبد الله بن عمر من كبار التابعين، روى عن عبد الله بن عمر وعائشة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وروى عنه الزهري وأيوب السختياني ومالك بن انس، وهو من الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به. ينظر: هند يوسف مجيد، **الإسهامات الفكرية للموالي**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، عدد 9، مجلد 14، 2007م، ص349 .

إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني، ثم أحبس عنه، وكان فيه حدة"[1] .

-**ابن شهاب الزهري(ت124هـ)**[2]: أبو بكر محمد بن مسلم المشهور بابن شهاب الزهري أحد مشايخة الإمام الذين يقول فيهم: "كان ابن شهاب إذا جلس يحدث ثلاثين حديثا، فحدَّث يوما وعقدت حديثه، فأنسيت منها حديثا، فلقيته فسألته عنه، فقال: ألم تكن في المجلس؟ قالت: بلى. قال: فمالك لم تحفظه؟ قلت ثلاثون، إنما ذهب عني واحد، فقال: لقد ذهب حفظ الناس، ما استودعت قلبي شيئا قط فنَسِيته، هات ما عندك فسألته فأنبأني وانصرف"[3]، ويروي الإمام مالك فيقول: "وكنا نزدحم على درج بن شهاب حتى يسقط بعضنا على بعض"[4].

***علمه ومجلسه:** لم يجلس الإمام مالك في المسجد النبوي لنشر العلم ولم يكن لتكون له حلقة فيه حتى كان أهلا لها بشهادة شيوخه وأقرانه، أهل العلم وسادات التابعين وفي هذا الصدد يقول رحمه الله: "وليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث و الفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح و الفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلا لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم أني موضع لذلك"[5]، وعنه قال أيضا: "ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعا لذلك، سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك"[6]، **وقد** انتصب **الإمام مالك** لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة واحتاج إليه شيوخه، وروى عنه الكثير ممن تقدمه أو عاصره أو تأخر عنه مع كثرة الرحلة إليه والاعتماد في وقته عليه، والرواة عنه كثيرون جداً بحيث لا يعرف

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص132 .

[2]- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمامُ العلم، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص326 .

[3]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج1، ص135 .

[4]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج1، ص137 .

[5]- إبن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص102 .

[6]- جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بت محمد بن علي بن الجوزي، **صفة الصفوة**، تح: محمد عبد المعيد خان، ج2، وزارة المعارف، الهند، 1969م، ط2، ص100 .

لأحد من الأئمة رواة كرواته[1]، كان مجلسه محفوفا بالهيبة والسلطان، ومكنونا بالحجة والبرهان، كان قال فيه عبد الله بن مبارك إمام خرسان رحمه الله:

يأبى الجواب فما يكلـم هيبـة والسـائلون نواكـس الأذقـــان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطـان[2]

ومن علامات تقديس الإمام مالك للعلم ماحدث به ابن أبي أويس فقال: كان مالك إذا أراد أن يحدث توظأ وجلس على صدر فراشه و سرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث، فقيل له في ذلك، فقال: "أحب أن أعظم حديث النبي ﷺ ولا أحدث به إلا عن طهارة متمكنا، وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل، فقال أحب أن يفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ"[3] .

***مؤلفاته:** ألف الإمام مالك عدة مؤلفات منها رسالة في القدر وكتاب في النجوم وحساب مدار الزمن ومنازل القمر، ورسالة في الأقضية عشرة أجزاء ورسالته إلى محمد بن المطرف في الفتوى مشهورة ورسالته المشهورة إلى هارون الرشيد في الأدب والمواعظ[4]، لكن يبقى أبرز ما ألفه هو **الموطأ**، الذي "اتفق المحدثون على جلالة نفع هذا الكتاب،[5] وقال القاضي أبو بكر العربي المالكي في شرح الترمذي أن **الموطأ** هو الأصل الأول واللباب وكتاب البخاري هو الأصل الثاني، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترميذي[6]، وإن الكتب تتفاضل من جهة فضل المصنف أو فضل التزام الصحة أو من جهة شهرة أحاديثها أو قبول عامة المسلمين عليها أو من جهة حسن الترتيب وإستيعاب المقاصد والآداب فإن هذا الكتاب الجليل احتوى على جميع هذه الأمور[7]، وقد روى أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالك: ضع للناس كتابا أحملهم عليه، فكلمه مالك في ذلك، فقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم

---

[1]– محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص54 .

[2]– السلماسي، المصدر السابق، ص181 .

[3]– ابن الجوزي، المصدر السابق، ص100 .

[4]– محمد بن محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص54 .

[5] الإمام مالك، **موطأ الإمام مالك بن انس**، رواية ابن القاسم وتلخيص القابسي، تح و تع: محمد بن علوي بن عباس المالكي ،المجتمع الثقافي للطبع، الإمارات، 2004م، (د،ط)، ص11 .

[6] – محمد بن محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص53 .

[7]– الإمام مالك، المصدر السابق، ص11 .

منك، فوضع الموطأ، فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر[1]، ومما يدل على جلالة هذا الكتاب ما يرويه أبو نعيم في **الحلية** عن مالك بن أنس أنه قال: "شاورني هارون الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة و يحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب، فقال وفقك الله يا أبا عبد الله"[2].

***وفاته:** تعتبر محنة الإمام مالك السبب المباشر لوفاته لما عاناه من التعذيب، وسبب محنته أنه لما دُعي مالك بن أنس، و شوورِر، وسمع منه وقُبِل قولُه شَنِفَ الناس له وحسدوه، وبَغَوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان[3] على المدينة سعوا به إليه وكثروا عليه عنده[4]، وقالوا له: إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، فغضب جعفر ودعا به و جرده وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما ... وذكر بن الجوزي في شذور العقود: في سنة سبع وأربعين ومائة: وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطا لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان[5].

وقد كان مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز، ويعود المرضى، ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثم ترك الجلوس في المسجد، وكان يصلي ثم ينصرف إلى منزله، وترك شهود الجنائز، فكان يأتي أصحابه فيعزيهم ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحدا يعزيه ولا يقضي له حقا واحتمل الناس ذلك كله له، وكانوا أرغب ما كانوا فيه و أشده له تعظيما حتى مات على ذلك وكان ربما كُلِّم في ذلك فيقول: ليس كل الناس يقدر أن يقدر أن يتكلم بعذره[6]،

---

[1]– ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 118 .

[2]– محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 53 .

[3]– "ابن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس، الأمير، سيد بني هاشم، أبو القاسم العباسي، ابن عم المنصور، وكان من نبلاء الملوك جُودَا وبَذلا، وشجاعة وعلما، وجلالة، وسُؤدُدا، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عُزِلَ، فولي البصرة للرشيد." ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج8 ،ص237 .

[4]– محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ج7، مصر، 2001، ط1، ص574 .

[5]– أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج4، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1978م، (د،ط)، ص137 .

[6]– الزهري، المصدر السابق، ص 574 .

وعن بن أبي أويس قال: اشتكى مالك بن أنس أياما يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، فقال تشهد ثم قال لله الأمر من قبل ومن بعد[1] .

وتوفي صبيحة أربعة عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع و سبعين ومائة في خلافة هارون الرشيد ، ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة[2]، ومما رثي به مالك رحمه الله ما كان عثمان بن كنانة ينشده لبعض أهل المدينة في مالك :

ألا إن في فقد العلم في فقد مالك فــلا زال فينــا صالـح الحال مالك

فلــولاه ما قـامـت حقـوق كـثيـرة ولـولاه لانـسـدت علينـا المســالـك

يقـيـم سبيـل الـحق سـراَ وجهـرا ويهدي كما تهدي النجوم الشـوابـك."[3]

1/2_ أصول المذهب المالكي

على الرغم من أن الإمام مالك لم يصنف كتابا في علم الأصول، فإن هذا لا يعني أنه أعرض إعراضا كليا عن بيان أصوله التي بنى عليها فقهه، وتوضيح منهجه في الاستنباط، فإنه –رحمه الله– نص على كثير من هذه الأصول، إما تنصيصا غير مباشرا على أصل بخصوصه، أو تنصيصا مباشر على بعض الأصول، باستدلاله بها في فروعه الفقهية[4]، ويعلق شيخ الإسلام بن تيمية عن صحة أصول مذهب أهل المدينة فيقول: "مذهب أهل المدينة النبوية – دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة، إذ فيها سن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم سنن الإسلام وشرائعه، إليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم – مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقا وغربا، في الأصول والفروع"[5]، ومما يتميز به المذهب المالكي عن غيره في كونه أول المذاهب نشأة في مدرسة الحديث، وأكثر

---

[1]– ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 101 .

[2]– ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص 101 .

[3]– ابن عبد البر، المصدر السابق، ص45 .

[4]– حاتم باي، **الأصول الاجتهادية التي بني عليها المذهب المالكي**، رسالة دكتوراه في الفقه و أصوله سنة 2006م، كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، الأردن، ص 12 .

[5]– تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني(ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تخ: عامر الجزار و أنور الباز، ج20، دار الوفاء، مصر، 1998م، ط1، ص 163 .

المذاهب ثراء من حيث الأصول المعتمدة، فهو المذهب الذي جمع بين منهج أهل الحديث والرأي، وذلك لطبيعة الأصول التي بني عليها الجامعة بين الأدلة السمعية النقلية، والأدلة النظرية الاجتهادية، والتي هي على النحو الآتي :

أ- **الأصول النقلية:** هي التي تثبت عن طريق النقل و يكون أساس الاعتماد فيها على المنقول، ولا شأن للمجتهد في تكوينها وإيجادها، ويقتصر عمله على فهم الإحكام منها بعد ثبوتها[1]، وهي:

1- القرآن الكريم: لا يختلف اثنان على أن كتاب الله هو أصل الأصول، فهو الذي كما وصفه الله عز وجل فقال :**{قُل لَّئِنِ اِجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْءانِ لَا يَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهَمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}**[2] وقوله أيضا: **{لَّا يَاتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}**[3]. فلا حكم إلا حكمه جل جلال، فقد أمر في كتابه بطاعة أمره، وإتباع ما أنزله على رسوله الكريم ﷺ، ومن الطبيعي أن يولي الإمام مالك عنايته الأولى لجميع الأحكام المنصوصة في القرآن الكريم ، فلقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقضي بالكتاب وبما أوحى الله به إليه من الحكمة، واتبع أصحابه سنته، وسلك الأئمة بعدهم نفس السبيل، ويقال: إنه لا أحد أنزع إلى كتاب الله من الإمام مالك رحمه الله[4].

2- السنة النبوية: تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وأحكامها، فكتاب الله هو الدستور الذي يحمل في آياته الأصول والقواعد الأساسية للإسلام من عبادات ومعاملات وآداب وعقائد وأخلاق، والسنة هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله، ومما يدل على حجية السنة النبوية قوله عز وجل: **{يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلًا}**[5] وقوله أيضا: **{وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ**

---

[1]- فاديغا موسى، **أصول فقه المالكي أدلته العقلية**، ج1، دار التدمرية، السعودية، 2007م، ط1، ص53

[2]- سورة الإسراء، الآية : 88 .

[3]- سورة فصلت، الآية : 40 .

[4]- محمد مختار ولد أباه، **مدخل إلى أصول الفقه المالكي**، دار الأمان، المغرب، 2011م، ط1، ص75 .

[5]- سورة النساء، الآية : 58 .

وَلَا مُومِنَةٍ اِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا اَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَّلَّ ضَلَلًا مُبِينًا}[1]، وقد كانت للإمام مالك ضوابط وشروط للعمل بالأحاديث فتكون صالحة عنده فقط إن كانت، لا تعارض ظاهر القرآن الكريم والقياس والأصول المعلومة وعمل أهل المدينة، وأن لا يكون غالب عمل النبي أو الصحابة على خلافه .

3- عمل أهل المدينة: يعرفه أحمد محمد نور سيف، العمل هو: ما نقله عن أهل المدينة من سنن نقلا مستمرا عن زمن النبي ﷺ أو ما كان رأيا و استدلالا لهم[2]، وهذا الأصل اختص به الإمام مالك وانفرد به دون غيره من الأئمة الأربعة، و احتج مالك به في مسائل كثيرة، وقد أنكر الكثير عليه هذا الأصل، ومن ردوده على ذلك "رسالته التي بعثها إلى الليث بن سعد يقرر فيها إن عمل أهل المدينة حجة لازمة، ودليل شرعي يجب الإذعان له والعمل بمقتضاه، ولم يكتف مالك بذلك بل إنه ينكر على من خالفه، إذ بلغه أن الليث يخالف أهل المدينة في بعض ما يفتى به، فينصح له بأن لا سعة له في مفارقة مذهب أهل المدينة ومخالفته، وجعل يستدل على ذلك ويحتج بأسلوب جَزْلِ ومتين"[3] .

4- الإجماع: عرفه الإمام الغزالي بقوله: اتفاق أمة محمد ﷺ خاصة على أمر من الأمور الدينية. وعرفه الرازي بقوله: هو عبارة عن اتفاق أهل الحل والعقد من أمه محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور"[4]، ويعرفه شيخ الإسلام بن تيمية:"هو أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام. وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة"[5] والأدلة على حجية الإجماع متعددة منها قول الله تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ**

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية : 36 .

[2]- عبد الرحمن بن عبد الله الشعلان، **أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية**، الإدارة العامة للثقافة والنشر، السعودية، 2003م، ص 1048 .

[3]- حاتم باي، المرجع السابق، ص 12 .

[4]- عبد الرحمن الشعلان، المرجع نفسه، ص 1000 .

[5]- إبن تيمية، المصدر السابق، ص 10 .

سَبِيلِ الْمُومِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[1]، ويقول الإمام مالك : لم آخذ مسألة واحدة إلا بعد أن أعرضها على الآية، والسنة، وإجماع الأمة، وعمل أهل المدينة[2].

5- عمل الصحابي: الصحابي عند علماء **الحديث:** هو من لقي الرسول صلى الله عليه وسلم، وآمن به، ومات على إسلامه، سواء طالت صحبته أم لم تطل، أما عند علماء **الأصول:** فإنهم يشترطون في الصحابي طول المجالسة والمكث معه عليه الصلاة والسلام ويقول بن تيمية: هو من رآه مؤمنا به وإن قلت صحبته، كما قد نص على ذلك الأئمة أحمد وغيره. وقال مالك: من صحب رسول الله ﷺ سنة أو شهرا أو يوما أو رآه مؤمنا به فهو من الصحابة، له من الصحبة بقدر ذلك[3]، وقول الصحابي قد اختلف فيه، هل هو حجة أو ليس بحجة؟ ومن يرى أنه حجة يحتج على ذلك بقوله ﷺ :{أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم}[4]، وجمهور الأصوليين المالكية يذهبون إلى القول أن الصحابي حجة عند الإمام مالك، وهو مأخوذ من طريقة مالك في الموطأ، فإنه كثيرا ما يستند على أقوال الصحابة[5] .

ب-الأصول العقلية: هي التي يتضح من خلال بناء الحكم عليها عمل العقل واجتهاده بشكل بارز، ويكون للمجتهد دخل في تكوينها[6] وهي :

1- القياس: يعرف القياس في **اللغة:** يطلق القياس بمعنى التقدير، أي معرفة قدر الشيء، مثل قياس الثوب بالذراع، والأرض بالمتر، و الأثقال بالكيلوغرام ...، كما يطلق القياس على مقاربة أحد الشيئين بالآخر، فنقول فلان يقاس بفلان، أي يقاربه، أما **اصطلاحا:** القياس هو إلحاق فرع بالأصل في الحكم لاشتراكهما في العلة[7]، وقال صاحب مفتاح الوصول: هو إلحاق صورة مجهولة الحكم بصورة معلومة الحكم، لأجل أمر جامع بينهما يقضي ذلك الحكم. والصورة المعلومة الحكم تسمى أصلا، والصورة المجهولة الحكم تسمى

---

[1]- سورة النساء، الآية : 115 .

[2]- عبد الرحمن الشعلان، المرجع السابق، ص 1011 .

[3]- ابن تيمية ، المصدر السابق، ص 165 .

[4]- أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني (ت771هـ)، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، تح: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان، لبنان، 1998م، ط1 ، ص ص 753،754 .

[5]- علي بن الحبيب ديدي، **مذكرة في أصول الفقه المالكي**، دار العوادي، المغرب، 2010م، (د،ط)، ص 122 .

[6]- فاديغا موسى، المرجع السابق، ص53 .

[7]- علي بن الحبيب ديدي، المرجع نفسه، ص101 .

فرعا، كما إذا قسنا النبيذ الذي هو مجهول الحكم ومحل نزاع على الخمر الذي هو معلوم الحكم ومحل الاتفاق، فالخمر هو الأصل، والنبيذ هو الفرع، والجامع الإسكار، والحكم المطلوب إثباته في الفرع التحريم"[1]، والقياس هو أحد أهم الأدلة المتفق عليها إجمالا بين المذاهب الأربعة، وإدراك هذا الأصل من أهم شروط المجتهد، إذ لا يمكنه أن يستنبط حكما شرعيا لحوادث متجددة إلا بالقياس، وهو ما يؤكده ابن عاصم الغرناطي المالكي في نظمه مرتقى الوصول إلى علم الأصول:

الأخذ بالقياس مضطر له وجل أهل العلم يقفو سبلـه

وإنـمـا نؤثره اتـبـاعـا إذا عدمنا النص والإجماعا[2]

2- العرف: يجمع العلماء والأصوليون على أن العرف والعادة مترادفان، ومن تعاريفه ما جاء في رسالة ابن عابدين في العادة:"العادة مأخوذة من المعاودة، فهي بتكررها ومهاودتها مرة بعد أخرى، صارت معروفة مستقرة في النفوس والعقول، متلقاة بالقبول من غير علاقة ولا قرينة، حتى صارت حقيقة عرفية"[3]، ويقول الإمام بن عاصم المالكي في نظمه:

العرفُ ما يعرفُ بين الناسِ ومـثلُه الـعـادةُ دونَ بـاسِ

ومقتـضـاهما معـا مشـروعُ في غيرِ ماخلفَهُ المشروعُ.[4]

3- المصالح المرسلة: يعرفها الإمام الغزالي فيقول: أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة، ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو

---

[1]- التلمساني، المصدر السابق، ص ص 652،653 .

[2]- فخر الدين بن الزبير بن علي المحسي، **شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم الغرناطي المالكي**، الدار الأثرية، الأردن، 2007م، ط1، ص 657 .

[3]- منى الرفاعي، **الاستحسان عند الإمام مالك**، رسالة ماجستير في الفقه الإسلامي وأصوله، 2015م، كلية الشريعة للدراسات العليا، سوريا، ص92 .

[4]- فخر الدين، المرجع نفسه، ص 742 .

مصلحة[1]، ويقول بن جزي المالكي أيضا: هو قياس المناسبة المبني على النظر المصلح من تحصيل المصالح ودفع المفاسد، فهذا عند جميع القائلين بالقياس، ومن ذلك ما فعله عمر رضي الله عنه من ديوان وإحداث السجن وغير ذلك[2] .

4- سد الذرائع: يقول الحسن اليوسي: اعلم أن الذريعة هي المدخل إلى الشيء، فإذا كان الشيء خيرا فتحها خيرا، وإن كان شرا فحقها أن تسد .. وقد يكون الأول (المدخل أو الذريعة): مباحا بذاته شرعا، والثاني (الأمر الذي يتوصل إليه): حراما، فيحرم الأول تبعا[3] ومثال ذلك فبناء منزل فهو مباح لكن إن كانت من أجل أن تكون مخمرة أو معصرة خمر.. وغير ذلك فهذا يبطل الأولى وهو من سد الذرائع المتفق عليها .

5- الاستصحاب: إن الاستصحاب من الأدلة المختلفة في حجية العمل بها لدى العلماء، ولكن الراجح الذي عليه جمهور العلماء هو اعتبار حجية العمل بالاستصحاب[4] ويعرف على أنه التمسك بدليل عقلي، أو شرعي، لم يظهر ما ينقل عنه مطلقا، ولا يرجع إلى عدم العلم بالدليل، بل إلى دليل مع العلم بانتفاء المغير، أو ظن انتقاء المغير عند بذل الجهد في البحث والطلب[5]، وقد قال ابن القصار: ليس عن مالك رحمه الله في ذلك نص ولكن مذهبه يدل عليه لأنه احتج في أشياء كثيرة سئل عنها[6]، ويقول الإمام محمد يحيى الولاتي في نظمه:

"وحجة لديه الاستصحاب ورأيه في ذاك لا يعاب[7]

---

[1]- أبي حامد محمد الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، اع: ناجي السويدي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، (د،ت)، ص313 .

[2]- أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، تح، محمد أمين الشنقيطي، (د،د)، السعودية، 2002م، ط2، ص ص 406،408 .

[3]- محمد المختار ولد أباه، المرجع السابق ، ص151 .

[4]- كامل صبحي كامل صلاح، **الاستصحاب وأثره في الأحكام الفقهية**، مجلة القلم (علمية – محكمة)، اليمن، العدد3 ، 2015 ، ص 245 .

[5]- ابن جزي المالكي، المصدر نفسه، ص 391 .

[6]- أبي الحسن علي بن العمر البغدادي المعروف بابن القصار المالكي، **مقدمة في أصول الفقه**، تح، مصطفى مخدوم، دار المعلمة، السعودية، 1999م، ط1، ص 315 .

[7]- محمد يجيى لن محمد المختار الولاتي، **إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك**، تع: مراد بوضاية، دار ابن حزم، لبنان، 2006م، ط1، ص175 .

وهو يعني أن الاستصحاب حجة شرعية لدى مالك رحمه الله تعالى وهو من أدلة مذهبه، وان رأي الإمام مالك في هذا الأصل لا يرد ولا ينتقد من أهل النظر الصحيح في العلم الشرعي.

6- الاستحسان: لغة: هو عد الشيء واعتقاده حسنا، ويستحسنه يعده حسنا ، اما اصطلاحا: ما ذكره الباجي عن ابن خويز منداد أن معنى الاستحسان الذي ذهب إليه أصحاب مالك-رحمه الله- هو: القول بأقوى الدليلين، وهذا ما أشار إليه ابن العربي بقوله: والاستحسان عندنا وعند الحنفية هو: العمل بأقوى الدليلين[1]، والاستحسان الذي اعتمد عليه الإمام مالك في الفقه والفتوى معناه: القول بأقوى الدليلين، وذلك أن تكون الحادثة مترددة بين أصلين، وأحد الأصلين أقوى شبها وأقربٌ، والأصل الأخر أبعد، فيعدل عن القياس على الأصل القريب، إلى القياس على ذلك الأصل البعيد. وقد عول الإمام مالك على الاستحسان، وبنى عليها أبوابا، ومسائل من مذهبه، وروي عنه أنه قال: "تسعة أعشار العلم الاستحسان"[2] .

1/3-أسباب وعوامل انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي

إن انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي يعوز إلى عدة أسباب ساهمت في ذلك، وكانت وراء ترسيخ هذا المذهب في المنطقة على غرار عدة مذاهب أخرى كان لها السبق في دخوله بلاد المغرب الإسلامي كالمذهب الحنفي، وهذه الأسباب تتلخص في:

أ-شخصية صاحب المذهب: يعتبر الإمام مالك من أبرز الشخصيات الإسلامية ذات التأثير الكبير في نفوس كل من لقيه وتتلمذ على يده، أو حتى من لم يلقاه واكتفى باقتفاء أثره، لما اتسم به من عقل وتواضع وأدب وعبادة وورع ووقار، وزهد في ما عند الناس وإعراض عن التودد للحكام، أما علمه فكان أعلم الناس بالقرآن والسنة وأحاديث الصحابة ثقة

[1]- فاديغا موسى، المرجع السابق، ص 338 .

[2]- وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، **المذاهب الفقهية الأربعة (أئمتها-أطوارها-أصولها-آثارها)**، مر: أحمد الحجي الكردي وآخرون، دار الإفتاء، الكويت، 2015م، ط1، ص 80 .

في الحديث لأنه لم يأخذ علمه إلا عن ثقة ولم يحدث إلا عن ثقة، ‘فكان لا يفتى الناس في مسجد رسةل الله ﷺ، ولا يحدث إلا مالك بن أنس[1] .

وللأثر الوارد في شأن عالم المدينة والذي حمله بعض العلماء عليه –وهو قوله ﷺ :"يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة"[2]– دور في تعلق قلوب الناس به، وزاد تأثرهم به لما رأوا فيه من تقديس وتعظيم لحديث النبي ﷺ ولمدينته التي هاجر إليها ما رأوا، فضربت له أكباد الإبل من مشارق الأرض ومغاربها طلبا له ولعلمه وللتأدب بأدبه والتجمل بخصاله، ويقول حسين مؤنس في هذا الصدد:"فاجتهد الطامحون من شباب أهل العلم في محاكاة مالك بالسير قي طريقه والتأسي به في أعمالهم ودراساتهم وتصرفاتهم، وبلغ الكثير منهم بذلك مراكز عالية ومناصب ذات خطر في بعض البلاد، وأصبح رجال العلم أي الشيوخ، هم رؤساء الناس في كل جماعات إسلامية أخذ شيوخها بمذهب مالك"[3] .

ب–الرحلة: إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يَنْتَحِلُونَ به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمُبَاشَرَة[4]، وهو ما كان عليه المغاربة الذين تطلعوا لبلاد المشرق، وشدت الحجاز ناظرهم، فارتحلوا إليها وقصدوا المدينة للقاء عالمها –الإمام مالك– بأعداد كثيرة، وقد نوه بن خلدون في مقدمته إلى انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب وعلل ذلك إلى الرحلات التي قادها أبناء المنطقة والتي كانت غالبا إلى الحجاز من المدينة إذ كانت الأخيرة منارة علم، وفي ذلك يقول: "وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس، وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 78 .

[2]– أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، **الجامع الكبير**، ج4، تح: بشار عواد معروف، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1996م، ط1، "باب ما جاء في عالم المدينة"، رقم الحديث: 2680، ص: 412.

[3]– حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، مصر، 1998م، ط1، ص84 .

[4]– ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ)، **المقدمة**. دار صادر، لبنان،، 2000م، ط1، ص 744.

طريقته[1]. وقد بلغ من لقيه من علماء المغرب وأخذ عنه أزيد من ثلاثيــن رجلا أبرزهم عبد الله بن فروخ(ت،176هـ)، علي بن زياد التونسي(ت،183هـ)، والبهلول بن راشد (ت،183هـ)، أبو علي شقران القيرواني(ت: 186هـ)، وعبد الله بن غانم(ت: 190هـ) و"أسد بن الفرات(ت:213هـ).

وقد كانت المدينة المنورة قبلة المغاربة ومحط رحالهم ومبتغاهم لعدة أساب منها:

***مكانة المدينة العلمية:** حيث كانت دار علم الإسلام في القرنين الأول والثاني، وعلماؤها هم قدوة أهل الدين والأثر[2]، دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة، إذ فيها سن الله لرسوله محمد ﷺ سنن الإسلام وشرائعه، إليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم[3] .

***التشابه البيئي:** لقد كانت طبيعة الحياة والمعيشة من بين الأسباب التي استحبها المغاربة في المدينة، حيث يوجد أوجه شبه بين الحجاز وحياة أهل إفريقيا من حيث البساطة، والوضوح والبعد عن التكلف والتعقيد، يقول بن خلدون في مقدمته: وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة[4].

***العامل الجغرافي:** القرب الجغرافي بين إفريقيا والمدينة المنورة، والبعد عن العراق، ساعد على إنفراد المدينة بمعظم فقهاء إفريقيا[5]، وهذا البعد بين إفريقية والعراق والتي كانت حاضرة علم أيضا وكانت موطن المذهب الحنفي، ولكن بعدها عن طريق الحج الذي سلكه الطلبة كان سببا رئيسيا لاكتفاء جلهم بالمدينة ومذهب عالمها الإمام مالك وهو ما

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص 333 .

[2]– محمد عز الدين الغرياني، **المذهب المالكي النشأة وأثره في الاستقرار الاجتماعي**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2010م، (د،ط)، ص53 .

[3]– ابن تيمية، المصدر السابق، ص 163 .

[4]– ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 333.

[5]– مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي، **دور قوافل الحجيج في نشر المذهبي المالكي في إفريقية**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، (د،س)، ص8 .

يؤكده بن خلدون كما سبق ذكره: ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك[1] .

***المدرسة المالكية المصرية:** وقد كان لسرعة انتشار المذهب المالكي في بلاد المشرق الإسلامي وظهور مدارس مالكية على غرار مدرسة المدينة، دور في تعزيز المذهب في المنطقة وهو ما كان مع المدرسة المالكية بمصر[2] والتي ساهمت بشكل كبير في انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي كونها البوابة الرئيسية لأفريقية، فمنها انتشر الإسلام في أصقاع المغرب الإسلامي وكذلك عبرها أنتشر المذهب المالكي هو الآخر بتأثير هذه المدرسة التي اتخذت قاعدة في الطريق إلى المدينة، تزود منها الطلاب المغاربة والحجاج في رحلاتهم إلى المدينة[3]، و ما يؤكد هذه المقولة ما نقله بن فرحون الذي قال: "قال محمد بن سحنون قال أبي: إذا أردت الحج فاقدم طرابلس وكان فيها رجال مدنيون، ثم مصر وفيها الرواة، ثم المدينة وفيها مالك، ثم مكة واجتهد..."[4]، وفي هذا القول بيان على أهمية مصر كونها أقرب المدارس وأول المحطات التي يمر بها الطالب المغربي في رحلته للحج وطلب العلم .

ج-علاقة الإمام مالك بطلبته المغاربة: لقد كانت تجمع الإمام مالك وطلبته المغاربة الذين أزمعوا أمرهم إليه وطلبوه، علاقة طيبة وطيدة، تجلت هذه العلاقة من خلال معاملته لهم وثنائه عليهم، فيقول فيهم: "إن أهل الأمن، والذكاء، والعقول من أهل الأمصار ثلاثة:

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق ، ص333 .

[2]- المدرسة المالكية بمصر: تعد المدرسة المصرية أول مدرسة مالكية تأسست بعد مدرسة المدينة، وذلك بجهود كبار تلاميذ الإمام مالك، الذين رحلوا إلى مصر ليعلموا الناس، كعثمان بن الحكم الجذامي (ت163هـ)، وعبد الرحمن بن خالد الجُمَحي (ت163هـ)، اللذان يعتبران أول من قدم مصر بمسائل مالك"، ينظر: وحدة البحث العلمي، المرجع السابق، ص 87 .

[3]- محمد منصور علي بلعيد، **أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي**، الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، 2013م، ص 619 .

[4]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص ص 33،34 .

المدينة ثم الكوفة ثم القيروان"[1]، ومن المآثر التي رويت عن الإمام مالك وطلبته المغاربة والتي تنم عن صدق العلاقة والمحبة والمكانة التي حظوا بها عند شيخهم، ما نقله ابن فرحون: قدم عبد الله بن فروخ المدينة حاجاً، فلما نزل المدينة لبس ثيابه ثم توجه إلى قبر النبي ﷺ، فسلم عليه، ثم أتى مالكا للسلام عليه، فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام إليه، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس وكان لمالك موضع من مجلسه يقعد فيه وإلى جانبه المخزومي معروف له ذلك لا يستدعي أحدا إلى القعود فيه، فأقعده فيه وسأله عن أموره وأحواله[2]، ويضيف أيضا فيقول: وكان مالك يكرمه ويرى له فضلا ويقول لأصحابه:"هذا فقيه أهل المغرب"[3]، ومن ذاك أيضا ما كان بين مالك وطالبه ابن غانم[4] حيث كان مالك يجل بن غانم، وإذا جاءه أقعده إلى جنبه ويسأله عن أخبار المغرب، وإذا رآه أصحابه قالوا: أشغله المغربي عنا، ولما ولي القضاء اعلم مالك بذلك أصحابه وسرَّ بذلك[5]، وقد ذكر بعض قرابته –أي قرابة بن غانم– أن مالك بن أنس عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده، فامتنع من المقام وقال: "إن خرجتها معي إلى القيروان تزوجتها"[6] .

د–دور الفقهاء المالكية في ترسيخ المذهب: لقد كان للفقهاء الملكية دورا كبيرا في نشر المذهب المالكي في أواسط المجتمع المغربي، فتمكنوا من تثبيت دعائمه وإرساء قواعده وتوسيع آفاقه ليصبح بعدها المذهب المعمول به المنطقة، ومن الفقهاء تلك الطبقة الأولى من أبناء المنطقة التي استقت العلم من صاحب المذهب مباشرة ، وسمعوا عنه وتأثروا به ثم

---

[1]– القاضي عياض ، المصدر السابق، ج1، ص 83.

[2]– أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**. تح: بشير بكوش، ج1، لينان: دار الغرب الإسلامي، 1994، ط2، ص 179 .

[3]– المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص177 .

[4]– ابن غانم: هو أبو عبد الرحمن بن عمر بن غانم ن شرحبيل بن ثوبان الرعيني، قاضي إفريقية، وصاحب مالك بن أنس، كان فضله وعلمه وورعه أشهر من أن يذكر، كان مولده ومولد البهلول في ليلة واحدة سنة ثمان وعشرين ومائة، وكانت وفاته سنة تسعين ومائة. ينظر: المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص215 .

[5]– القاضي أبو الفضل عياض، **تراجم أغلبية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض)**، تح: محمد الطالبي، الجامعة التونسية، تونس، 1968م، ص10.

[6]– المالكي ، المصدر نفسه، ص217 .

عادوا إلى بلادهم ينشرون مذهب مالك هناك ولم يمت الإمام مالك حتى كان قد عرف انتشار مذهبه في المغرب[1]، وهو ما يؤكده صاحب المذهب نفسه حين طالبه ابن مهدي[2] بوضع كتاب يحمل الأمة عليه فقال مالك: "أما هذا الصقع –يعني المغرب– فقد كفيتكه وأما الشام ففيه الأوزاعي، وأما أهل العراق فهم أهل العراق"[3] .

إن الدور الكبير الذي قام به الفقهاء المالكية في نشر المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي راجع إلى خصائص استفردوا بها عن غيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى التي عرفت لها مكانا في المنطقة، خصائص نقلوها عن شيخهم الأول وهي:

***الحركة العلمية للمالكية:** وقد كان الاتجاه الغالب الذي انتهجه الفقهاء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي يركز على نشر العلم، وحفظ الأمانة التي ألقيت على عاتقهم بنشر مذهب المدينة وبذل الغالي والنفيس للوقوف على تطبيق أحكام، ومن الإسهامات التي قام بها الفقهاء المالكية، ما قام به علي بن زياد التونسي(ت183هـ) حين أدخل موطأ الإمام مالك لبلاد المغرب الإسلامي، فكان قد أثر في نشر المذهب المالكي دون شك لاسيما وأنه أول من فسره لأهل بلدته قول مالك[4]، وقد جهد في ترسيخ المذهب ومبادئه في نفوس تلاميذه وبخاصة أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد (240هـ)[5]، اللذان ثبتا أقدام المذهب في المغرب واكتسحا به البلاد، فالسحنون بن سعيد التنوخي كان له جل الفضل في انتشار المذهب المالكي، حيث خلَّد له ذلك المؤرخون، ونقل ابن فرحون في الديباج المذهَب: "أقام سؤدُدُ

---

[1]– يوسف بن أحمد حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 2000م، ج1، ص275.

[2]– ابن الحسان بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، كان إماما حجة قدوة في العلم والعمل ولد سنة خمسة وثلاثين ومائة، توفي بالبصرة في جمادة الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص192.

[3]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص73 .

[4]– يوسف بن أحمد حوالة، المرجع نفسه، ص 277 .

[5]– يوسف بن أحمد حوالة، المرجع نفسه ، ص 276 .

العلم في دار سحنون نحو مائة عام وثلاثين عاما من ابتداء طلب سحنون وأخيه إلى موت ابن ابنه محمد بن محمد بن سحنون"[1].

***المكانة الإجتماعية:** لقد تجل تأثير شخصية الإمام مالك في سير تلاميذه الذين اتسمت كذلك سيرهم بالزهد والورع والتقوى ومكارم الأخلاق والثقة في الحديث الإعراض عن مغريات رجال الدولة، فلا ريب أن هذه الخصال كانت مصدر قبول العامة لهذا الفقه وأصحابه، فتأثير حسن الخصال قد يكون أقوى من تأثير حسن المقال، فشغف الناس بهؤلاء الفقهاء وتقربوا منهم وعظموا شأنهم فقد بنى هؤلاء الفقهاء روابط متينة مع المجتمع وقد وثقت لهذه الروابط كتب السير والتراجم ومنها ما ينقلها القاضي عياض فيقول: وجاء رجل إلى ابن حسان[2] فأعلمه أن داره تهدمت، وشاوره في بنيانها ومن يبني عنده، فدفع ابن أبي حسان إليه ثلاثين دينارا وقال: استعن بها على بنائك. فقال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته؟ قال لست ببناء، وإنما تعرض لمعروفي[3]، ولعل أبرز حدث ينم على قوة هذه الرابطة ما وقع للبهلول بن راشد مع العكي حين ضربه، ليحتشد إليه الناس "فرمى عليه بأنفسهم جماعة، فضُربوا ثم ضُرب أسواطا دون العشرين[4] .

هـ-العامل السياسي: يعتبر هذا العنصر مصدر جدل بين المؤرخين، فهناك من يرى أن للسلاطين أثر وإسهام كبير في انتشار المذهب وتثبيته في بلاد المغرب الإسلامي وهو ما لا نوافقهم فيه لعدة اعتبارات سنتطرق لها، فحجتهم في هذا القول:

***مقولة بن حزم الأندلسي:** "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحي بن يحي الليثي كان مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة"[5]، على الرغم من أن ما قاله بن حزم أمر حقيقي في الأندلس إلا أنه لا ينطبق على بلاد المغرب وهو ما أكده الهنتاتي حين علق على القول

---

[1]- ابن فرحون ، المصدر السابق، ج2، ص 40.

[2]- ابن حسان: هو عبد الله بن أبي حسان اليحصبي، وهو من أشراف إفريقية، وصاحب فقه وأدب، ورحل إلى مالك فكان عنده مكرما، توفي ستة وعشرين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة.ينظر: ابن فرحون ، المصدر نفسه ، ج1، ص418 .

[3]- القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص73 .

[4]- المالكي، المصدر السابق، ص 213 .

[5]- المقري أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1988م، ص 10 .

فقال: "ولئن صح هذا الرأي بالنسبة للأندلس، فهو لا ينطبق تماما وبنفس الطريقة على مناطق أخرى من الغرب الإسلامي فالحكام في إفريقية مثلا تبنوا مذاهب مغايرة للمذهب المالكي في حين أن ذلك المذهب انتهى بالانتصار بها."[1]

***تولي السحون بن سعيد القضاء:** لقد شكلت قضية تولية الإمام السحنون القضاء مصدرا احتج به من يرى بتأثير عامل السياسي في نشر المذهب، وهو ما يذهب إليه صاحب المُغرب في حلى المغرب حين علق على مقولة بن حزم الآنف ذكرها:"وكذلك جرى الأمر في إفريقية لما ولي بها القضاء سحنون بن سعيد ثم نشأن الناس على ما انتشر"[2] ولكن إن سلمنا بهذه الفرضية فإننا نلغي الدور الذي قام به الإمام السحنون في نشر المذهب عن طريق تلاميذه الذين انتشروا في البلاد ونشروا المذهب وصانوا الأمانة، كما قال صاحب الديباج عن ابن علجان الأندلسي أنه قال: "ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ ما بورك لسحنون في أصحابه، إنهم كانوا بكل بلد أئمة"[3].

وسنأخذ بعض ما نقلته كتب السير في الإمام ونقيس عليها، فيقول القاضي عياض: "ولي سحنون القضاء افريقية أربعة وثلاثين ومائتين، وسنه إذ ذاك أربعة وسبعون سنة فلم يزل قاضيا إلى أن مات، ولما وليَّ القضاء دخل على ابنته خديجة، وكانت من خيار النساء فقال لها: "اليوم ذبح أبوك بغير سكين"، فعلم الناس بقبوله القضاء[4]، فالإمام السحنون قد تولى القضاء مرغما غير راضي عنها لموقفه المعروف من رجالات الدولة الأغلبية، والذين رفضوا الصلاة عليه يوم وفاته بالحجة التي قالوها: "أنه كان يكفرنا ونكفره لأن –أكثرهم كانوا معتزلة–"[5].

وبالعودة للمقولة الأولى وإن قمنا بتحليلها حسابيا فالإمام السحون قد تولى القضاء وهو يبلغ من العمر أربعة وسبعين سنة مدة ستة سنوات إلى أن وافته المنية سنة 240هـ، فهل

---

[1]– نجم الدين الهنتاني، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن5هـ/11م**، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص 90.

[2]– ابن سعيد المغربي، **المُغرب في حلى المغرب**، تح و تع: شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، مصر، 2009م، ط4، ص164 .

[3]– ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص 28 .

[4]– ابن فرحون، المصدر نفسه، ج2، ص 35.

[5]– القاضي عياض، تراجم اغلبية، المصدر السابق، ص 133 .

ننكر عليه الأربعة والأربعين سنة التي جلس فيها لنشر العلم ومذهب عالم المدينة، وذلك الزخم الذي كان حوله وشهرته التي بلغت أصقاع العالم الإسلامي وذلك الكم الهائل من التلاميذ التي مني بهم والذين ساحوا وانتشروا في المنطقة لنشر المذهب، وهذا الرأي يؤكده الهنتاتي فيقول: "فقد مثل السحنون عاملا هاما في انتشار المذهب المالكي هناك إلا أن ذلك الأمر لم يكن مرتبطا فحسب بولايته القضاء، بل إنه كان مرتبط أيضا بخصائص أخرى تميز بها سحنون ساعدته على نشر ذلك المذهب مثل نوعية الشخصية ، وتصرفه مع طلبته ..." .

***دولة الأدارسة:** هناك من يرى أن المذهب المالكي عرف انتشاره في المغرب الأقصى أيام دولة الأدارسة الذين كان اتجاههم مالكي، وسندهم في هذا أن إدريس الثاني[1] (192-213هـ) الذي دعا الناس إلى الأخذ بالمذهب المالكي و إتباع منهجه فجعله مذهبا رسميا للدولة ويقول الهنتاتي في هذا الصدد: "كان إدريس يقول: "نحن أحق بهذا الكتاب الموطأ وقراءته، وهي رواية قابلة للنقاش من عدة جوانب[2]، وهنا نلمس أن الهنتاتي يرى في هذا القول الذي صدر عن إدريس الثاني أنه كان مرتبط بموقف الإمام مالك من العباسيين وميوله لآل البيت فقد كان يرى بخلع أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور العباسي وبيعته لمحمد النفس الزكية وعهده لأخيه إدريس الأكبر بالخلافة بعده[3].

فالعامل السياسي في دعم أي مذهب هو أن يقوم الحاكم بحمل الناس وكل من تحت طوعه إلى انتهاج مذهبه فكما قيل "الناس على دين ملوكهم"، وهو ما لم يحدث في بلاد المغرب الإسلامي، وإن استثنينا الرواية القائلة بعمل الأدارسة بالمذهب المالكي وسلمنا بصحتها فإن مسرح الأحداث ومركز انبثاق المذهب المالكي والذي حمل لواءه رجال تصدوا لأصحاب البدع والأهواء من معتزلة وخوارج وأحناف وشيعة، كانت بعيدة عنه دولة الأدارسة، لكن أول دعم سياسي حقيقي للمذهب المالكي كان في العهد الزيري حين استقل

---

[1]- إدريس الثاني: هوإدريس بن إدريس بن غبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عهم- أمه بربرية إسمها كنزة، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 187هـ، وهو إبن إحدى عشر سنة وقيل أكثر، بايعته جميع القبائل، توفي مسموما سنة 212هـ .ينظر: إبن عذاري المراكشي، **البيان المغرب قي أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، لبنان، 1983م، ط3، ص ص210،211 .

[2]- الهنتاني، المرجع السابق، ص 95 .

[3]- الهنتاني، المرجع نفسه ، ص ص95،96 .

المعز بن باديس[1] ببلاد المغرب(440هـ) وأعلن المذهب المالكي مذهب الدولة وحمل الناس على انتهاجه، والتخلي عن المذهب الإسماعيلي الشيعي.

و-الخوارج والتجربة الفاشلة: لقد كان دخول الخوارج لبلاد المغرب الإسلامي سباقا للمذهب المالكي لكن الأثر الذي تركه في نفوس الناس ولد نفورا، فأحجم الناس عنهم وعن مذهبهم لما رأوه فيهم من تكفير واستباحة واستحداث للبدع والأهواء، وبلبلة سياسية لا ناقلة لهم فيها ولا جمل وهو ما لقي اعتراض شديد من قبل الفقهاء المالكية الذين دخلوا في صراع معهم وقاوموا أفكارهم، وفي هذا يقول عمر الجيدي: "إن من بعض ما عد في أسباب انتشار المذهب المالكي هو، مناهضة المالكي لمذهب الخوارج الذي كان قد تسرب إلى المغرب منذ أوائل القرن الثاني الهجري على يد بعض خوارج العراق واستشرى فيه"[2]، وقد دفع هذا كل الجمهرة الكبرى من أبناء المغرب إلى التطلع نحو الإسلام النقي الصافي الذي يعتمد على الكتاب الكريم و صادق الحديث، و هو التيّار الذي تمثّله مدرسة المدينة[3]، وهو ما يؤكده أيضا الدكتور نجم الدين الهنتاتي حين قال:"إن أهل إفريقية مروا بتجربة رديئة مع الخوارج مما ولد لديهم نقمة شديدة عليهم، لذلك من البديهي أن يبحثوا، عند التخيير المذهبي، عن مذهب سني الأكثر تحاملا على الخوارج ألا وهو المذهب المالكي"[4].

1/4-أبرز العلماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي

إن المتتبع للحركة المذهبية لبلاد المغرب الإسلامي وبالخصوص المذهب المالكي سَيُشد لا محال للدور العظيم الذي قام به الفقهاء المغاربة المالكية في ترسيخ وبث مذهب عالم المدينة مالك بن أنس، في مهمة لم تكن بالهينة ولا بالسهلة لنشر هذا المذهب وسط بيئة تعج بالمذاهب المختلفة، فمن هؤلاء الفقهاء من لقي صاحب المذهب وتفقه على يده

---

[1]- المعز بن باديس: هو المعز بن باديس بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، توفي سنة أربع وخمسون وأربع مائة، ينظر:ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 233 .

[2]- عمر الجيدي، **أسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، دعوة الحق، العدد 223، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية، 1982م، ص 171.

[3]- حوالة ، المرجع السابق، ص 298 .

[4]- الهنتاني المرجع السابق، ص 90 .

مباشرة ومنهم من تفقه على يد تلاميذه الذين تواتروا تعاليم المذهب، فتعددت الرجال واختلفت الأجيال، وثبت المقال، ومن أبرز الفقهاء الذين كان لهم باع في المنطقة نذكر منهم:

1- علي بن زياد التونسي (ت 183هـ): "أبـو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي، وقيل أصله من العجم[1]، ولد بطرابلس ثم انتقل إلى تونس فسكنها، سمع من مالك بن أنس ومن سفيان الثوري، ومن الليث بن سعد ومن ابن لهيعة وغيرهم ولم يكن في عصره مثله سمع منه البهلول بن راشد وشجرة بن عيسى المعافري، وسحنون وأسد بن فرات[2]، قال أبو سعيد بن يونس: "هو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان المغرب، وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم"[3]، وتوفي ابن زياد سنة ثلاث وثمانين ومائة (183هـ)، وقبره بتونس متبرك به[4].

2-عبد الله بن فروخ (115-176هـ): أبو محمد عبد الله بن فروخ فارسي الأصل[5] فقيه القيروان في وقته[6]، كان فاضلا صالحا متواضعا في نفسه قليل الهيبة للملوك لا يخاف في الله لومة لائم، مباينا لأهل البدع ومعاديا لهم كان مولده بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة (115هـ) ثم انتقل الى افريقية فسكن القيروان وأوطنها، ثم رحل الى المشرق[7]، من شيوخ إفريقية، وقد كان مسنا ممن رحل في طلب العلم، فلقي بالمشرق مالك بن أنس وسفيان الثوري وقد لقي أيضا أبى حنيفة ولقي غير واحد ممن حمل عنه، وكان مالك يعرفه ويكاتبه

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 80 .

[2]- أبو العرب، **طبقات علماء افريقية**، منشور مع طبقات الخشني، تح: محمد بن ابي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006م، ج1، ص 251 .

[3]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3, ص 80 .

[4]- محمد مخاوف، المرجع السابق، ج1، ص 91 .

[5]- محمد زينهم محمد عزب، **الامام سحنون**، تق: حسين مؤنس، دار الفرجاني، مصر، 1992، ص 104 .

[6]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص 102 .

[7]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 186 .

بجواب مسائله[1]، جمع بين العلم والورع والقيام بالحق كان البهلول بن راشد وابن غانم يراجعانه في المسائل[2]، وتوفي ابن فروخ في مصر اثر منصرفه من الحج وذلك في سنة خمس وسبعين ومائة وقيل سنة ست وسبعين ومائة[3].

3- البهلول بن راشد (128-183هـ): البهلول بن راشد أبو عمرو[4]، كان ثقة مجتهدا ورعا لا يشك في أنه مستجاب للدعوة وكان عنده علم كثير، سمع من مالك بن أنس ومن سفيان الثوري ومن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، ومن موسى بن علي بن رباح والليث بن سعد والحرث بن نبهان[5]، سمع منه الكثير كسحنون، قال فيه البهلول: "وهو وتد من أوتاد المغرب"[6]، وقال عنه مالك: "هذا عابد بلده"، بينما قال سعيد بن الحداد "ما كان بهذا البلد أحد أقوم بالسنة من بهلول في وقته وسحنون في وقته"[7]، وقد كانت وفاته بالقيروان سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو إبن خمس وخمسين سنة، ودفن بباب سلم، كانت وفاته بعد وفاة علي بن زياد بخمسة وثلاثين يوم[8].

4-أسد بن فرات (142-ت213هـ): أبو عبد الله اسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم بن قيس[9]، أصله من خراسان من نيسابور[10]، يقول المالكي في رياض النفوس: "قال سليمان بن عمران أنه ولد بحران سنة إثنتين وأربعين ومائة"[11]، وقد كان قد علم القران ببعض القرى، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس فلزمه وتفقه بفقهه ثم رحل إلى المشرق

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ج1، ص 34 .

[2]- محمد مخاوف، المرجع السابق، ج1، ص 91 .

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 112 .

[4]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص 87 .

[5]- أبو العرب، المصدر نفسه، ج1، ص 52 .

[6]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 201 .

[7]- محمد عزب، المرجع السابق، ص 100 .

[8]- أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأزدي الدباغ (605-696هـ)، **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، تص وتع: إبراهيم شتوح، ج1، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ط2م، ص278 .

[9]- القاضي عياض، تراجم، المصدر السابق، ص 52 .

[10]- أبو العرب، المصدر نفسه، ص 81 .

[11]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 254 .

فسمع من مالك بن أنس موطأه وغيره، ثم ذهب إلى العراق فلقى أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو[1]، كتب الحديث عن يحي بن أبي زكترياء بن أبي زائدة والمسيب بن شريك وهيثم بن بشير[2] وغيرهم، كانت وفاة أسد في حصار سرقوسة، من غزوة صقلية وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ثلاث عشرة ومائتين (213هـ) وقبره ومسجده بصقلية .[3]

5-الامام سحنون (160-ت240هـ): هو أبو سعيد سحنون بن سعيد[4] عبد السلام بن حبيب [5]بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة بن عبد الله التنوخي[6] الفقيه المالكي قرأ على ابن القاسم وابن وهب والأشهب، ثم انتهت الرياسة في العلم بالمغرب إليه[7]، كان مولده سنة ستين ومائة في شهر رمضان[8]، وتوفي في رجب سنة اربعين ومائتين[9]، **وسحنون** لقب له يقول صاحب المدارك: إني سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يحكى عن بعض المشايخ بافريقية انه قال:"سمى سحنون باسم طائر حديد لحدته في المسائل[10]، سمع من علي بن زياد، والعباس بن أشرس، وبهلول بن راشد، وعبد الله بن غانم، ومعاوية الصمادحى، ثم رحل الى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة فسمع بمصر من ابن القاسم وابن وهب، وابن عبد الحكم ,وشعيب بن الليث، ويوسف بن عمر، وفي سنة احدى وتسعين ومائة عاد سحنون الى القيروان بعد هذه الرحلة وفي قلبه الف قبس من نور هؤلاء الاعلام وفكرهم وخلقهم [11]

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 291 .

[2]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 4 .

[3]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص 309 .

[4]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص 45 .

[5]- الذهبي المصدر السابق، ج12، ص 63 .

[6]- المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص 345 .

[7]- أبو العرب، المصدر السابق، ج1، ص101 .

[8]- محمد عزب، المرجع السابق، ص 65 .

[9]- المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص346 .

[10]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص45 .

[11] - سعدي ابو حبيب، **سحنون مشكاة علم ونور**، دار الفكر للنشر، سوريا، 1981، ص 26 .

6- محمد بن سحنون (ت256هـ): فقيه المغرب، محمد أبو عبد الله بن فقيه المغرب عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية[1]، صحيح الكتاب لم يكن في عصره أحذق منه بفنون العلم[2]، ويذكر ابن فرحون أن ابن سحنون تفقه بأبيه، وسمع من أبي حسان ,وموسى بن معاوية وعبد العزيز بن كاسب، وسمع من سلمه بن شبيب، وقال ابن الحارث: كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين، وعندما تصفح محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كتابه وكتاب ابن عبدوس قال عن هذا الأخير: رجل أتى بمذهب مالك على وجهه، أما عن ابن سحنون قال: هذا كتاب رجل سبح في العلم سبحا[3].

7-جبلة بن حمود (ت297هـ): أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن، ابن مسلمة الصدفي -رحمه الله- من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان، أسلم جده على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه[4]، كان من رجال سحنون، من أهل الخير البين والعبادة الظاهرة والورع الخالص[5]، وكان مولده سنة عشر ومائتين،سمع من سحنون ومن جماعة من علماء مصر من أبي إسحاق البرقي وغيره، كان يقيم بقصر الطوب مرابطا ثم يَقْدم إلى القيروان فيسمع الناس منه ثم يرجع[6]، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين .

8-سعيد ابن الحداد (ت302هـ): سعيد بن محمد بن صبيح أبو عثمان، والحداد جده لأمه[7]، ويضيف صاحب المعالم فيقول: وعوام القيروان عندنا يقولون: سعيد الحداد، وإنما سمي الحداد، لحدة ذهنه، وهو وهم، وإنما هو ابن الحداد[8]، كان عالما ثقة في الفقه والكلام والذب عن الدين والرد على فرق المخالفين للجماعة، من أذهن الناس وأعلمهم بما قال

---

[1]- الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص 60 .

[2]- ابن فرحون ، المصدر السابق، ج2، ص 169 .

[3]- ابن فرحون ، المصدر نفسه، ج2، ص 169

[4]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 270 .

[5]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 143 .

[6]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 25 .

[7]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 78 .

[8]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 295 .

الناس[1]، ويحكي عياض نقلا عن بعض أصحابه أنه سمع يقول: (ما حرف في القرآن إلا وأعددت له جوابا، ولكن لم أجد سائلا)[2]، سمع من السحنون واختص به، وسمع من غيره من شيوخ إفريقية، كأبي سنان وأبي الحسن الكوفي بطرابلس، وغيرهما[3].

9-ابن التبان (ت371هـ): أبو محمد عبد الله ابن إسحاق ابن التبان، قرأ على يد أبي بكر بن اللباد[4]، كان متضلعا في العلوم القرآنية والفقه وأصول التوحيد، وقد سخر مواهبه الخطابية للذب عن المذهب المالكي[5]، وله علوم شتى منها علوم القرآن والفقه والنحو واللغة والنجوم والطب والشعر الرقيق وله مع ذلك ورع شديد[6]، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة[7].

---

[1]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 58 .

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 78 .

[3]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 78 .

[4]- الدباغ، المصدر السابق ، ج3، ص 88 .

[5]- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ط1، ص 332 .

[6]- الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص 89 .

[7]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج6، ص 257.

الفصل الثاني: صراعات وتحديات الفقهاء المالكية في عهد الدولة الأغالبة

1- نزاعات الفقهاء المالكية مع الأمراء الأغالبة

2- الصراع السني المالكي الحنفي

3- المالكية وموقفهم من الفكر الإعتزالي

4- انعكاسات الصراع على واقع الفقهاء المالكية.

2/1-نزاعات الفقهاء المالكية مع الأمراء الأغالبة

*بروز العلاقة بين الفقهاء المالكية والأمراء الأغالبة:

لعل إمعان النظر في تاريخ الدولة الأغلبية[1] يسمح لنا بإدراك حقيقة بعد أثر الفقهاء في ولادة الدولة وفي جميع مراحل حياتها، ثم في نهايتها وانحلالها، فمن بين الأسباب التي كانت وراء تأسيس الدولة الأغلبية المحنة التي تعرض لها الفقيه البهلول بن راشد الذي عارض العكي[2] أخر الولاة، والذي جلده ومات على إثر ذلك، مما حرك الجيش العباسي في بغداد بطلب من هارون الرشيد[3]، فأمر بإنشاء الدولة الإسلامية الأولى بالقيروان تكون يد العباسيين في بلاد المغرب وتتمتع بنوع من الاستقلالية تحت حكم بني الأغلب، الذي استمر حكمهم نحو قرن من الزمن، بحيث كان أبناء إبراهيم بن الأغلب يتوارثون الحكم تحت اسم الخلافة العباسية طوال تلك الفترة[4].

اشتمل قصر الإمارة الأغلبية على الحاشية والموظفين من مختلف المذاهب السنية من المالكية والأحناف ومن المعتزلة القائلين بخلق القرآن –والذين سيرد ذكرهم لاحقا–، فكان تعايشهم في دولة واحد سببا في إثارة المواجهة بينهم، ومما زاد الطين بله هو ميل الأمراء إلى المذهب الحنفي لأنهم كانوا على نفس المذهب، في اطار بسط السيطرة سعى الأمراء الأغالبة إلى فرض القوانين لم تخلوا من الظلم، ومن ما تعودوا عليه في تلك المرحلة من

---

[1]– لدولة الأغلبية: نسبها إلى مؤسسها إبراهيم بن الأغلب توفي سنة 196هـ راجع تاريخ هذه الدولة ينظر: ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج6، دار صادر ، لبنان، 1982، ص175 ./ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 92-149 .

2– العكي: محمد بن مقاتل العكي، كان رضيع هارون الرشيد العباسي، ولي أفريقية سنة 181هـ وقدم إليها وأقام بالقيروان. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج7، ص 107 .

[3]– هارون الرشيد: هو هارون الرشيد أمير المؤمنين، ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، القريشي الهاشمي، بويع بالخلافة بعد موت أخيه موسى المهدي سنة 170. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، تح: عبد الله بن هبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، مصر، 1998م، ط1، ص 28.

[4]– حسن أحمد محمود وأحمد شريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، مصر، ط5، (د،س)، ص 414 .

سلطة الشخص الواحد والتجاوزت الغير مبررة والإمتيازات اللاعقلانية للمنتسبين لهمن فقهاء الدولة، فكان لابد للصنف المهمش من الفقهاء أن يصدوا الاستبداد ويقفوا موقف المعارض لتلك التجاوزات، في حركة تتسم دائما بالرفض، ذلك أن الرفض والتعبير عنه هما العمل الوحيد الذي كان يقابل به الفقهاء أخطاء وتجاوزات الأمير الأغلبي[1]، كل هذا ساهم في رسم العلاقة التي ربطت بين الفقهاء المالكية المعارضين والأمراء الأغالبة .

***علاقة الفقهاء المالكية بالأمراء الأغالبة:**

لقد غلب على علاقة الفقهاء المالكية والأمراء الأغالبة العدائية المتكررة، فكان المالكية يقفون موقف الند للأمراء فلا يسايرونهم في أحكامهم وقوانينهم الباطلة والجائرة، وكان الأمراء يرفضون هذا التحدي ويحاولون إزاحة كل من يقف في طريقهم لذا عان الفقهاء المالكية من الاضطهاد، وهذا ما سنبينه فيما يلي.

كان الفقهاء المالكية يميلون نحو الرعية، ويثيرون جانب الحيطة والحذر من تصرفات الأمراء والولاة، ويقفون ضد الجور متى صدر منهم، ونلحظ ذلك من موقف الإمام سحنون لما واجه محمد ابن الأغلب[2] حين رأى الناس يقبلون يده، فقال له: "لا تعطيهم يدك، لو كان ذلك يقربنا من الجنة ما سبقون إليه"[3]، وموقف آخر كان مع الفقيه حماس بن مروان القاضي[4] الذي انتقد صراحة عامل القيروان ابن مسرور الخال بسبب قتله لرجل بغير حق حتى إذا أنف من وعظه، ذهب القاضي إلى الوالي يطلب عزله[5]. ويروى عياض أن أبا

---

[1]– عبد الواحد ذنون طه، وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2004م، ط1، ص 243.

[2]– محمد بن الأغلب: محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، أبو العباس، سادس الأمراء الأغالبة، ولي سنة 226هـ إلى غاية وفاته سنة 236هـ. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 40 .

[3]– سعدي أبو جبيب، المرجع السابق، ص 71 .

[4]– حماس بن مروان القاضي: أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمداني القاضي الزاهد، وهو من رجال سحنون، تولى القضاء في القيروان سنة 290. ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص ص 176-184 .

[5]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 76 .

الأحوص أحمد بن عبد الله[1] كتب إلى الأمير بن الأغلب يعظه فيه بلفظ غليظ[2]، وعندما اشتط الولاة في فرض الجبايات، وأسرفوا في أخذ المغارم، ثار الفقهاء المالكية في وجوهم مدافعين عن الرعية ومبينين لهم أن هذا ليس من الدين[3].

ليس هذا فحسب، بل إنهم كانوا يستخفون بهم ويسخرون منهم، فإبراهيم بن الأغلب يقول في شأن القاضي عيسى بن مسكين[4]:" يا قوم أرأيتم مثل هذا القاضي؟ غبنا فما شيع، وجئت فما تلقى ولا هنأ، وبعثت وراء غيره فغلط به الرسول فاعتذر إليه، فانصرف بعد أن رآني من غير تسليم"[5]، وحينما قيل لجبلة الصدفي أن الأمير يقول لك، كرر الإقامة وسلم اثنتين، ولا تقنت، قال ساخرا:" الأمير لا يعلمنا أمر ديننا، ولما جاء أمر من قبل القاضي بقراءة البسملة في الصلاة، حيا على خير العمل في الأذان، قال:" قبحك الله وقبح من أرسلك"[6].

–صحيح أن بعض الفقهاء المالكية تولوا منصب القضاء، لكنهم لم يكونوا يقبلون إلا إذا نزل الأمراء والولاة حكمهم[7] وهذا ما اشترطه سحنون، إذ لم يقبل القضاء إلا بعد أن أخذ العهد من الأمير محمد بن الأغلب أن يطلق يده على أهل بيته وقرابته ، خدمه وحاشيته وينفذ

---

[1]– أبا الأحوص أحمد بن عبد الله: من الفقهاء المالكية كان رجلا صالحا ، وله صحبة مع سحنون،وسمع منه الكثير، ومن ابن زغبة بمصر. ينظر، القاضي عياض، المصدر السابق ، ج4، ص 390 .

[2]– القاض عياض، المصدر نفسه ، ج4، ص 390 .

[3]– عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، الحلال العربية، الرباط، ط1، 1993م، ص41 .

[4]– عيسى بن مسكين: هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي أصله أعجمي من أهل الساحل، من كبار الفقهاء المالكية، سمع من سحنون وابنه وأخرون، تولى القضاء في افريقية، ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص 331.

[5]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص 340.

[6]– القاض عياض، المصدر نفسه، ج4،، ص 376.

[7]– نوار نسيم، **المذهب المالكي ببلاد المغرب حتى نهاية القرن 4هـ/10م**، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، العدد 9، 1439هـ/2018م . ص9 .

عليهم أحبوا أم كرهوا[1]، وكذلك القاضي عيسى بن مسكين الذي أرغمه إبراهيم بن الأغلب على القضاء فلم يقبل إلا بعد أن اشترط أن يجعل بني عمه وجنده والفقراء والأغنياء في درجة واحدة[2].

إلا أن هذه المواقف لم ترضى الأمراء، فالتفتوا إلى غيرهم، واعتمدوا عليهم في الأحكام والأقضية والفتاوي، لأنهم كانوا يجارونهم في أفكارهم وتصرفاتهم[3]، فكان المالكية يتصدون لهم بالنقد والتجريح إذا لم يعدلوا في أحكامهم، فثارت بين الطائفتين خصومات ومعارك انحاز الأمراء على إثرها إلى الفقهاء الحنفية ضد الفقهاء المالكية، بينما التفت العامة نحو المدنيين.

ومم زاد الناس اقتناعا بأن المالكية على حق، تنصيبهم أنفسهم للدفاع عن الحق والمظلومين، وهذا الموقف جر على الفقهاء المالكية الكثير من المحن، وتعرضوا إلى أقصى العقوبات[4] فالصراع كان على أشده بين الفقهاء والأمراء، ونذكر منها أبا العباس عبد الله بن طالب التميمي[5] الذي أمتحن أكثر من مرة وكان السبب في تعذيبه أنه نظر إلى ما شرعه إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والجور والاستطالة على المسلمين بعين السخط وعدم

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 56 .

[2]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص ص 331-350 .

[3]– سعدي أبو جبيب، المرجع السابق، ص 44 .

[4]– ابن فرحون، المصدر السابق، ص 281 .

[5]– أبا العباس عبد الله بن طالب التميمي: هو من أعيان مدرسة الفقه المالكي بالقيروان، توفي سنة 275هـ، عين قضيا في عهد الأغالبة مرتين سنة 257 و 267هـ. ينظر: الخشني محمد بن حارث بن أسعد، **طبقات علماء افريقية**، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، مصر، 1413هـ-1993م، ط1، ص 178-182-186 .

الرضى، فما كان منه إلا أن عزله و أوكله إلى قاضيه ابن عبدون الحنفي[1] الذي سلط عليه السودان فركضوا بطنه حتى مات على اثر ذلك[2].

وامتحن عبد الله بن غانم، حين اتخذ من منصب القضاء حجة لمواجهة الظلم، ومن ابرز مواقفه إجبار أحد أعوان إبراهيم بن الأغلب الأول الذي حكم أفريقية سنة 184هـ على دفع مال عليه لأحد الرعايا، ومن مواقف البطوليةأيضا إقدامه على كسر زجاجة للأمير إبراهيم بن الأغلب الأول باهظة الثمن تحتوي على السم، ونتيجة لهيبته وسمعته في الرعية –أي القاضي ابن غانم– لم يكلمه إبراهيم أو يلحق به أذى يذكر، ويظهر أن إبراهيم بن الأغلب كان يخشى عاقبة أي تصرف منه حيال ابن غانم خوفا من أنصاره المالكية .

ومن المواقف التي تحمد لابن غانم التفاف الناس حوله وسماعهم لرأيه، ومما يدل على هذا استدعاء الأمير إبراهيم بن الأغلب الأول له عندما عثر على حصير في الجامع وقد أورد هذه الحكاية المالكي بقوله: "فلما صلى بالناس –أي إبراهيم بن الأغلب– وانصرف بعث في طلب ابن غانم، فأتاه الرسول، وقال له: الأمير يدعوك، فتغير ابن غانم عند ذلك، وقال: في مثل هذا الوقت يوجه ورائي؟ ثم لم يجد بدا من أن قام إليه....فقال له: إني لم أبعث إليك إلا لخير وإني لما دخلت المسجد واشتغل قلبي بحفظ نفسي، فعثرت على حصير فسقطت، فظننت بالناس أنهم حسبوا أني منتبذ، فأحببت أن تكون براءتي عندك، ولا أبالي بغيرك، فاستنكهني فاستنكهه ابن غانم فوجده بريئا مما قال فشكر له ذلك[3] .

كما امتحن أحمد بن أبي محرز(ت221هـ)، بسبب إجباره لوزير الأمير الأغلبي زيادة الله الأول علي بن حميد في تنفيذ حكمه في المسكن المتنازع عليه بين الوزير وأحد سكان

---

[1]– ابن عبدون الحنفي: هو محمد بن عبد الله بن عبدون بن أبي ثور توفي سنة 297هـ، من كبار فقهاء القيروان على مذهب أهل العراق، وكان حافظا لمذهب أبا حنيفة، ولاه إبراهيم بن أحمد القضاء سنة 275. ينظر:ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 121، ص 161 .

[2]– إبن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ص 121 .

[3]– المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 213-227 .

القيروان، ولما تطاول الوزير على القاضي تدخل الأمير الأغلبي ونهض إلى الدار، وقال للقاضي أحمد :(إنا نرضيك يا قاضي)، وسبب خروج الأمير هو إقدام وزيره علي رفع طابع القاضي من على الدار المحرزة، ومن الأقوال التي أوردها المالكي للأمير زيادة الله الأول متهددا وزيره :(والله لولا واجب قديم صحبتك ما جعلت طابعه إلا على رأس من حله! من تنقص قاضي فإنما تنقصني وحل من أمري[1].

كما امتحن أبو جعفر أحمد بن متعب بن أبي زهير[2]، فضرب ونكل به[3]، كما عذب يحي بن عمر الكندي، ولما امتنع الإمام سحنون عن الصلاة خلف القاضي ابن أبي الجواد[4]، فما إن بلغ ذلك الأمير زيادة الله[5] أمر عامل القيروان أن يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته، ولولا تدخل الوزير لكان نفذ فيه الحكم[6]، وأبو الوليد دخل عليه جيش زيادة الله في داره وقتلوه وقطعوا رأسه[7].

وامتحن ابن نصير بن زياد الهواري[8] على يد إسحاق بن أبي المنهال[9] من قضاة الأحناف، لأن الأول كان ينبهه على خطئه إذ كان رجل سوء[1]، وضرب محمد بن حمدون

---

[1]– المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 398 .

[2]– أبو جعفر أحمد بن متعب بن أبي زهير، من علماء المالكية بالقيروان، سمع من سحنون، وسمع من ابي الحسن الكوفي جميع ما عنده، وسمع بالمشرق من العثماني بالمدينة وغيره. ينظر، المالكي، المصدر نفسه، ص 356 .

[3]– الخشني، المصدر السابق، ص 139 .

[4]– ابن أبي الجواد، هو صهر أسد بن الفرات، ويعد من أبرز رجال المعتزلة في القيروان آنذاك،، وهو من صور اشتداد الصراع بين المالكية والمعتزلة. ينظر: الخشني، المصدر نفسه، ص 305 .

[5]– زيادة الله: هو أبي العباس زيادة الله الأغلبي الثالث، المتوفي سنة 304، الأمير الأغلبي الحادي عشر والأخير. ينظر: الذهبي، المصدر السابق ج10، ص 78 .

[6]– سعدي أبو جبيب، المرجع السابق، ص 43 .

[7]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص ص 69-73 .

[8]– ابن نصير بن زياد الهواري: هو أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري، كان عالما متقدما حاذقا بالمناظرة، أخذ عن ابن حمديس وابن سحنون وغيرهم. ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 93 .

[9]– إسحاق بن أبي المنهال: من قضاة العراق وكان رجلا سوء امتحن على يديه جماعة من الصلحاء والمدنيين فضرب بعضهم وحبس بعضهم . ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 8 .

المؤذن المعروف بابن النعجة وإبراهيم القري، لنفس الأسباب أيضا، وامتحن أبو إسحاق إبراهيم بالسياط وجرد من ثيابه، وطلب منه العدول عن مذهبه لكنه أبى ليقتل على إثر ذلك[2] وامتحن أبو جعفر القصري[3] بسبب أنه كان ينتقص أبا حنيفة[4]، وغير هؤلاء كثير ممن امتحنوا في سبيل عقيدتهم، أو بسبب مقاومة الظلم والطغيان والصدع بقول الحق مهما كانت النتائج.

وإذا كان أمراء بني الأغلب قد كفوا أحيانا عن اضطهادهم للفقهاء المالكية، فإنما كانوا يلجئون إلى ذلك لا رغبة فيهم أو رحمة بهم، لكن بسبب صمود الفقهاء، وخشية من العامة الذين كانوا يقتدون بآرائهم، رغم ذلك لم يتحرك الفقهاء المالكية بعنف، ولم يعلنوا ثورة أو لجؤا إلى العنف العسكري ضد دولة الأغالبة، فقد كان سلاحهم التحلي بالإيمان والصبر.

2/2- الصراع السني المالكي الحنفي

انتشر المذهب الحنفي[5] في مناطق واسعة من العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب في أيام دولة بنو الأغلب، التي كان أمراؤها مرتبطين اسميا ومذهبيا بالعباسين[6]، ومن المعروف تاريخيا أن المذهبين الأوزاعي والحنفي كان أسبق المذاهب دخولا إلى إفريقية والأندلس، وظلا المذهبان المعمول بهما في بلاد المغرب مدة من الزمان إلى أن بدأ طلاب هذه البلدان

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص ص 96،97 .

[2]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 118 .

[3]- أبو جعفر القصري: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي القصري، نسبة إلى قصر بنيالأغلب ودار ملكهم، كان راجلا صالحا فقيها، توفي سنة 324هـ. ينظر: محمد بن قاسم مخلوف، المرجع السابق، ص 123 .

[4]- محمد بن قاسم مخلوف، المرجع نفسه، ص 123 .

[5]- ينتسب المذهب الحنفي إلى مؤسسه الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (80هـ-700م) ولد بالكوفة وتعلم بها، والأصول التي بني عليها فقهه هي الكتاب والسنة وفتوى الصحابة والقياس والاستحسان والعرف، توفي (150هـ-767م). ينظر: محمد أبو زهرة، **أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، مصر، 1955م، (د،ط)، ص ص 14، 531 .

[6]- عليلي محمد، **<u>الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين (2- 3هـ/8-9م</u>**)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008م، ص 59 .

يرتحلون نحو المشرق، بغية أخذ العلم وطلب الرواية عن فقهائه وعلمائه، وبما أن رحلتهم في البداية كانت كما يؤكد ابن خلدون مقصورة على الحجاز، وإمامها يومئذ هو الإمام ملك، فتأثروا بالمذهب وبصاحبه[1].

وجد المذهب الحنفي في إفريقية مرتكزا له في وقت مبكر غير متأخر كثيرا أن تركز المذهب المالكي[2]، ثم صار المذهبان متكافئين للحد الذي جعل رجالهما يتناوبون على القضاء والحكم، ومن أوائل الأحناف يتصدرهم عبد الله ابن المغير الكوفي، الذي كان له دور في إدخاله إلى القيروان، بعد أن تتلمذا مباشرة عن الإمام أبي حنيفة، كما أخذ أيضا أن كبار علماء الكوفة من أمثال مسعر بن كدام (ت152هـ/769م)، وعمر بن ذر (ت150هـ-767م)، وقطر بن خليفة (ت153هـ-770م)[3].

ولعل أول من ركز قواعد المذهب الحنفي بإفريقية هو عبد الله ابن فروخ (توفى سنة 176هـ-792م)، ثم لا يخفى ما في عمل أسد بن الفرات (ت213هـ-828م) من أثر فعال في التعريف بهذا المذهب في دروسه وبعض أقضيته على الرغم من كونه مالكيا[4].

ولم يقتصر الأمر في نشر المذهب الحنفي في المغرب على العلماء فقط الذين سبق ذكرهم بل كان هناك إسهام كبير لأمراء بني أغلب الذين تبنوه بالرغم أن سياستهم تقوم على تبني كل المذاهب الفكرية وتشجيعها.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما ذكره القاضي عياض حيث قال : "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي ابن

---

[1]- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 15 .

[2] - محمد بن حسن الشرحبيلي، **تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطي**، مطبعة فضالة، المغرب، 2000م، (دط)، ص 278 .

[3]- الطيب بوسعد، **المذهب الحنفي في المغرب الأدنى بين جهود العلماء والتجار و غوائل السياسة (ق2- 4هـ/8-10م)**، مجلة الصراط، العدد 34، جامعة البليدة، الجزائر، ديسمبر 2016م، ص 330 .

[4]- عبد العزيز مجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزرية**، دار سحنون، تونس، 2008م، ط1، ص 71.

زياد، وابن الأشرس، والبهلول ابن راشد، وبعدهم أسد ابن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به الكثير من الناس، ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[1] .

والباحث في بدايات العلاقة بين المالكية والأحناف سيلتمس التعايش واللاعداء بينهم، وفي هذا الصدد يشير المقديسي إلى الألفة التي كانت بين أصحاب المذهبين الحنفي والمالكي بالقيروان حيث يقول: "هي فرضة المغربين ومتجر البحرين، لا ترى أكثر من مدنها ولا أوقف من أهلها ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية، لا جرم أنهم على نور من ربهم"[2]، ويبدوا أن كلامه هذا فيه نظر فهو ينطبق على بعض الفترات دون بعضها الآخر، ويبدوا أن العلاقة بينهما اتسمت خلال القرن 2هـ/8م بالمودة و التعاون على الرغم من بعض المآخذ المنهجية التي أبداها بعض فقهاء المالكية بخصوص عمل الأحناف بالقياس[3]، إلا أنه ابتداء من القرن 3هـ/9م أخذت العلاقات بين الطرفين في توتر، فبدأت مرحلة الصراع بينهما، ويبدو أن ذالك كان بفعل تباين مواقفهما، إزاء بعض الاختلافات الفقهية [4].

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 25 .

[2]– المقديسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، مصر، 1991، ط3، ص 236 .

[3]– وهنا يقول سحنون نقلا أن علي ابن زياد أبرز فقهاء المالكية موقفه من قياس الذي عمل به الأحناف أنه قال له : ((زعم هؤلاء القوم – يعني أهل العراق– أنهم يحسنون القياس، وقد بنو على غير أساس)). ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 236 .

[4]– حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية (2-5هـ/8-11م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2008، ص 110 .

قام أول صراع بين المالكية و الحنفية في المغرب الإسلامي في شكل منهجي جدلي بين أسد بن الفرات والإمام سحنون تعلق بطريقة الاستدلال وأسلوب التدوين تم تطور الصراع إلى صراع مذهبي أو جدلي علمي[1].

وعلى هذا يمكن أن نحصر أسباب الصراع كلها في أمور ثلاثة، وهي وإن لم تكن أسبابا مباشرة في كل لون من ألوان الصراع فهي الأسباب الأصلية الأساسية :

1- القول بخلق القرآن: وهو ناشئ عن انتحال الأمراء وقضائهم الأحناف لمذهب الاعتزال، وكان القاضي العراقي أبو العباس محمد بن عبدون يعد من أصحاب المدرسة العراقية القليلين الذين تولوا قضاء قيروان، وكان عدوا لدودا للمالكية وهو من الغلاة القائلين بخلق القرآن[2].

إشتد النزاع بسبب هذه المسألة وتعدى قصور أمراء الأغالبة فتابعوها بانتباه وناصروا فريقا على فريق، فقد استدعى الأمير زيادة الله (ت 223هـ/837م) الإمام سحنون وأقعده للمناظرة بعد أن جمع له قواده وقاضيه ابن أبي الجواد وغيرهم وسألهم عن القرآن، فقال سحنون: "أما شيء أبتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه وأخذت عنه، كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي جواد: كفر،أقتله ودمه في عنقي"[3].

وقال بعضهم: "يقطع أرباعا، ويجعل كل ربع بموضع من المدينة، ويقال هذا جزاء من لم يقل بكذا"، فقال الأمير لداود بن حمزة: ما تقول أنت؟ قال: "أصلح الله الأمير، قتله

---

[1] – راضي دغفوس، **دراسات في تاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2005م، ص 268 .

[2]– عبد العزيز مجدوب، المرجع السابق، ص ص 75، 86 .

[3]– القاضي عياض، المصدر السابق،ج4، ص 71 .

بالسيف راحة له، ولكن أقتله قتل الحياة، يؤخذ عليه الحملاء، وينادى عليه بسماط القيروان لا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره"[1].

فما أتى على ذالك إلا حول واحد وغلب أبو العباس محمد بن الأغلب على أخيه أبي جعفر ووفده إلى المشرق ومات بها، ثم ولى الأمير أبو العباس القضاء لسحنون[2]، فكان هو الوالي بعده فخاصم ابن أبي جواد رجل بين يدي سحنون، فحكم له على ابن أبي جواد وحبسه وقال له: إن لم تؤد ضربتك بالسوط، فقال: ما عندي مال، فأخرجه وضربه في جمعة بالسياط مئة سوط، حتى أسال دمه على كعبه، ورد إلى السجن فمات فيه، وقيل بل فعل ذلك بما كان عليه من البدعة، أي قوله بخلق القرآن[3].

2- تحليل النبيذ[4]: كان من طرف الأحناف، وهو محرم تحريما قطعيا لا شبهة فيه لدى المالكية، ونال فقهاء المالكية التعذيب والتشريد والقتل لرفضهم القول بذالك وتنزههم عنه، وقاموا القائلين بذالك وناظروهم، كما ألف بعضهم الكتب في الرد عليهم .

بدأ القول بتحليل النبيذ بظهور عبد الله بن المغيرة، وهو من أقدم رواة الحديث بإفريقية كان تلميذا لأبي حنيفة وكان له إلمام بآراء أهل العراق الذين لا يرون بأسا في شرب النبيذ وقد كتب رسالة كانت معتبرة، وبصفته حنفيا كان يعتبر شرب النبيذ حلالا، وكان يجاهر بذالك ويلح[5].

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ص 94، 95 .

[2]- أبو العرب، **المحن**، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2006م، ط3، ص 353- 354 .

[3]- القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص 106 .

[4]- النبيذ: قال ابن قتيبية في معنى النبيذ: بأنه سمي كذالك لأنهم كانوا يأخذون القبضة من التمر أو الزبيب فينبذونها، فالنبيذ هو ما اتخذ من التمر والزبيب وغيرهما من المستخرج بالماء أو ترك حتى يغلي وحتى يسكن، ويعرض عنه حتى يبلغ، فنجد أن النبيذ لو كان ماء الزبيب لما وقع فيه الاختلاف . انظر: ابن قتيبة، **كتاب الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها**، تح: ياسين محمد السواس ، ط1، دار الفكر ، سورية، 1999م، ص 31 .

[5]- عبد العزيز مجدوب، المرجع السابق، ص ص 75، 82 .

وشكلت مسألة تحليل النبيذ وتحريمه نقطة خلاف بين رجال المذهبين، فقد أتاح تحليله لأمراء الدولة الأغلبية وضعاف الإيمان، فرصة الاعتداء على حدود الله ، لذالك لم يبالي فقهاء المالكية في تصديهم لأصحاب البدع، حيث قال أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصي فقيه إفريقية، الذي لقي مالكا وسمع منه (ت229هـ/842م) قال: دخلت على زياد الله الأول (201- 223هـ/817- 838م) وهو جالس، وعنده أسد ابن الفرات و أبو محرز قاضياه وهما يتناظران في النبيذ المسكر، وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه، فلما جلست قالي لي زياد الله: ما تقول يا أبا محمد؟ فقلت له: قد علمت سوء رأيي فيه وقاضياك يتناظران بين يديك، فقال لي: ناظرني ودعهما[1]، فقلت: أصلح الله أمير كم دية العقل؟ فقال: ألف دينار، قال: أصلح الله أمير يعمد الرجل إلى ما قيمته ألف دينار، فيبيعه بنصف درهم، فقيل له: إنه يعود ويرجع، فقال أصلح الله الأمير بعد كشفه سوءته وإبدائه عورته[2]، وقتل هذا وضرب هذا، فقال لي: صدقت ولله، صدقت ولله، صدقت ولله[3].

وقد انتشرت مسألة تحليل النبيذ المسكر في الحارة الأغلبية مدينة رقادة[4]، حيث أباح الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261-289هـ) شرب النبيذ بها حينما جعلها دار ملكه ومسكنه، وقيل منع بيع النبيذ بمدينة قيروان وأباحه بمدينة رقادة وذالك بسبب جنده وعبيده، فقال في ذالك أحد الشعراء :

يا سيدا الناس وابن سيدهم ومن إليه القلوب منقـادة

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 61 .

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 108 .

[3]- الدباغ، المصدر نفسه،ج2، ص 61- 62 .

[4]- رقادة: مدينة تقع في المغرب الأدنى تبعد عن قيروان 4 أميال، وهي مدينة كبيرة دورها 40- 24 ذراع، يقال أن المالك الذي بناها هو إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب ((261-289هـ /874- 902م)) أنظر: مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (دط)، ص 116 .

ما حرم الشرب في مدينتنا وهو حلال بأرض رقادة[1].

وقد اعتمد المالكية على تأليف في الرد على الأحناف ، فألف ابن سحنون كتاب "**تحريم المسكر**" حيث قال ابن سحنون: "دخل علي أبي وأنا أؤلف كتاب في تحريم النبيذ، فقال لي: يا بني إنك ترد على أهل العراق، ولهم لطافت الأذهان، وألسنة حداد فإياك أن يسبقك قلمك لما يعتذر منه [2]..."، وألف مالك بن عيسى توفي (305 هـ) "**كتاب الأشربة**"، وكان يقول: "مذهبي في تحرم المسكر مذهب أهل المدينة، وإنما ألفت ذالك الكتاب لرجل صالح سألني أن أجمع له ما ورد في تحريم النبيذ وتحليله، فلا يظنن أحد أنني أميل إلى تحليله..."[3] .

إن هذا الأمر قد تسرب إلى مدينة القيروان وتمكن من الأوساط الشعبية رغم حفاظ الفقهاء هذه الأوساط على الطابع الديني، فعلى هذا لابد أن ينشط المالكية في مقاومة هذه الآفة وهم أشد ناس تعلقا بالأثر: (كل مسكر خمر وكل خمر حرام)، فتعرضوا بذالك إلى غضب الأحناف،[4] ونال فقهاء المالكية التعذيب والتشريد والقتل بسبب رفضهم القول بها[5].

3-التعامل بربا[6]: يلاحظ الدارس لحياة المجتمع القيرواني في عهد الدولة الأغلبية أن الناس قد تعاملوا بالربا، فشاع بسبب ذالك الفقر والفساد، وتدهورت الحياة الاقتصادية

---

[1]- مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 116 .

[2]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 335 .

[3]- محمد طالبي، **الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184-296هـ- 800-909م)**، ط1، سوتيميديا لنشر وتوزيع، تونس، 2017م، ص23 .

[4]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 83 .

[5]- الهنتاني، المرجع السابق، ص 117 .

[6]- الربا: في اللغة هو الزيادة، واصطلاحا عند فقهاء الحنفية فنجدهم أنهم فرقوا بين ربا الفضل وربا النسيئة فقالوا: ربا الفضل هو فضل عين مال على المعيار الشرعي، وهو الكيل والوزن عند إتحاد الجنس، وأما ربة النسيئة أو النساء فهو فضل الحلول على الأجل وفضل العين على الدين في المكيالين أو الموزونين عند اختلاف الجنس، أما الربا عند فقهاء المالكية هو بيع ربوي بأكثر منه من جنسه لأجل .أنظر: حكمت عبد الرؤوف حسن مصلح، **المقارنة بين السلم والربا في**

والاجتماعية، ولم يلاحظ مثل ذلك يقع وقاضي الجماعة مالكي بل حنفي لأنه لم نجد لا في المصادر ولا المراجع أن المالكية تعاملوا بالربا أو شجعوا عليه في فترة الأغالبة فهم من حرموه تحريما قطعيا [1].

ومن الحيل التي استعملها الحنفية لتعامل مع الربا يذكر المالكي أن ابن الأشج العراقي كان إذا أراد أن يجوز الربا بين الناس يقول لأحدهم: "... خذ الهر فاجعل في عنقه خمسين دينارا، وبعه بمائة إلى أجل، فإذا أخذ الهر المشتري له وأقام عنده أياما فامض إليه وقل له : عسى ذلك الهر ترده إلينا، فإن الفئران قد أكلونا. فيرده إليه فكان هذا فعله مع الناس..."[2].

ويذكر الدباغ أن أبو الحسن قال رأيت ليلة في المنام كأن زبلا في مسجدي وأنا أكنسه فأصبحت مغموما من ذالك، فبينما أنا كذالك في المسجد إذ دخل على قوم فقلت من أنتم؟ فقالوا: نحن الصيارفة وجهنا عبد الله بن طالب نسمع منك كتاب الصرف، فقال فقرأته لهم وعلمت أن ذالك تأويل الرؤيا[3] .

فقال أحمد: فأتى إلى الرجلان منهم فسألاني عن مسألة فقلت لهما: "لا تحل فإنه ربا فقال لي: فإن ابن الأشج قال لنا أديروا بينكم ما شئتم من بيع حرام، ثم تعالوا إلي أجعله لكم حلالا، فقلت لهما: لاحول ولا قوة إلا بالله، حرام، حرام، قوما عني"[4] .

كانت مسألة التعامل بالربا من المسائل والقضايا التي فيها تباين في مواقف الفرقتين المالكية والحنفية، ولا ريب أن هذا الاختلاف البين بين الطرفين كان يثير العداوة والبغضاء بينهما[1].

الفقه الإسلامي دراسة فقهية معاصرة، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة نجاح الوطنية، فلسطين، 2007م، ص ص 35،36 .

[1]– عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 83 .

[2]– المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 507 .

[3]– الدباغ، الصدر السابق، ج2، ص 209 .

[4]– المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص 508 .

وقد ذهب عبد العزيز مجدوب إلى أن السبب الرئيسي والحقيقي في الصراع بين الحنفية والمالكية هي السياسة وحب الرئاسة، وهو بيت القصيد في رأينا لتفسير هذا الخلاف بإفريقية ولنأخذ هنا كمثال منصب القضاء[2]، فنجد سليمان بن عمران العراقي يصارع سحنون في صمت ودهاء، فحينما أراد محمد ابن الأغلب تعين احد الفقهاء للقضاء، ألح سليمان بن عمران على أن يتولى هذا المنصب الإمام سحنون، وقد يفهم هذا على أنه كان نابعا من شدة احترامه لسحنون، ويؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن عمله هذا كان يهدف من ورائه إلى النيل من مكانة سحنون بين الناس، حيث وضع سمعته الاجتماعية على محك، ويبدو أن سحنون قد أدرك ذلك[3]، وفي هذا قال سليمان بن سالم : "لما قدم سحنون سار حتى دخل على ابنته خديجة وكانت من خيار الناس، فقال لها: اليوم ذبح أبوك بغير سكين، فعلم الناس أنه قبل القضاء، إذ كان كثيف الوجه ما يتجرأ أحد على كلامه لهيبته، وجاء عون بن يوسف فقال له: نهنيك أو نعزيك؟ فقال له سحنون: من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة، ومن ولته الشفاعة حكم بالشفاعة..."[4]، واتخذ سحنون سليمان بن عمران كاتبه، تم أسند إليه قضاء بجاية، وباجة، والأربس، وقال سليمان نقلا أن سحنون : "ابتليتني والله لابتلينك، فولاني القضاء"[5].

بعد أن تولى سحنون القضاء فرق حلق البدع من الجامع وشرد أهل الأهواء منه وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤدبين، وأمرهم ألا يجتمعوا، وأدب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره، وهو أول القضاة جعل في الجامع إماما يصلي بالناس[6]، ثم

---

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 110-111 .

[2]- الهنتاني، المرجع السابق، ص 117 .

[3]- حفيظ كعوان، المرجع نفسه، ص 111 .

[4]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 86 .

[5]- محمد زينهم محمد عزب، المرجع السابق ، ص 151 .

[6]- عياض، تراجم الأغلبية، المرجع السابق، ص 104 .

ترك سحنون القضاء وجلس في بيته، تم عاد إليه ثانية وبقي على ذلك إلى أن توفي فكانت وفاته بمثابة كارثة أصابت الناس عامة ومالكية خاصة .

عين سليمان بن عمران سنة 224هـ بعد سحنون بن سعيد قاضيا بالقيروان، وكانت ولايته للقضاء أيام نكبة على سكان القيروان، لما أحدثه هذا الفقيه الكوفي من شغب كبير بين أوساط الناس ومقاومته للمالكية، فكان هو وأتباعه من الأحناف يستفزون مشاعر الناس فيحاولون أن يفرضوا عليها ما ينافي سنتها ومذهبها مفضل[1] .

فأساء سليمان بن عمران صحبة محمد ابن سحنون، وفسدت الحال بينهما، وكان سليمان يلقبه ويؤذيه بالقول ولم تزل الحال تتزايد في الفساد ما بينهما، إلى أن توارى ابن سحنون خوفا على نفسه، فكتب في تواريه إلى الأمير محمد بن الأغلب، بما كتب به عثمان إلى علي رضي الله عنهما :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي وإلا تداركني ولما أمزق

فقال ابن الأغلب: ومن يمزقه ؟ مزق الله جلده، ثم رفع يد سليمان عنه وأمنه منه[2] .

ورغم ذلك رد سليمان غيظه على أصحاب محمد بن سحنون، فأخذ فرات بن محمد وضربه بالسياط، فخرج محمد بن سحنون فلقيه صاحب الصلاة بالقيروان المعروف بابن أبي الحواجب وكان من أعدائه، فأومأ إلى أذنه فأمكنه ابن سحنون منها فقال له: "ياكذا يا ابن كذا، فاركب ابن سحنون إلى أحمد بن محمد الخضرمي أحد رجال السلطة في الدولة الأغلبية فسأله أن يزين للأمير توليه ابن أبي طالب على الصلاة، فأجابه الأمير إليه وتم له ما أراد[3].

---

[1]- فاطمة عبد القادر رضوان، **مدينة القيروان في العهد الأغلبي 184هـ-296هـ**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، االسعودية، 1991م، ص ص 186، 188 .

[2]- القاضي عياض، الصدر السابق،ج4، ص 212 .

[3]- القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص ص 179 – 180 .

وهكذا بلغ النزاع على المناصب أوجه بين الطرفين، كما أضحت تلك التعليمات والترتيبات التي وضعها المتعلقة بالقضاء، التي أسسها الإمام سحنون وسار عليها الفقهاء المالكية من بعد، عرضة للنقض إذ ولي قاض حنفي، حتى أن البيت الذي اتخذه سحنون للقضاء بالمسجد، كان إذ ولي عراقي هدم، وإذا ولي مدني بناه وحكم فيه، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى استفحال روح التعصب المذهبي لدي الفريقين، وشدة ما لاقاه فقهاء المالكية من مضايقات على يد بعض الأحناف المتعصبين[1] .

يمكننا القول أن العلاقة بين الأحناف والمالكية في بادئ الأمر كانت متسمة بالتفاهم والاتفاق إلا أنه مع مرور الوقت نشب خلاف بينهم في مسائل فقهية ونزاع حول تولي مناصب القضاء خاصة بعد وفاة الإمام سحنون مما أدى في نهاية المطاف إلى خطورة النزاع، حيث كان هذا النزاع بمساندة أمراء دولة الأغلبية لإضعاف الخصمين والسيطرة عليهم.

2/3-المالكية وموقفهم من الفكر الإعتزالي

عرفت بلاد المغرب الاعتزال[2] في وقت مبكر، مع إرسال واصل بن عطاء لدعاته لنشر عقائد مذهبه في القرن الثاني للهجرة، وكان من بين من أرسلهم عبد الله بن الحارث إلى إفريقية لهذا الغرض، والاعتزال ما كان يكتب له الظهور والانتشار بإفريقية لولا وجوه

---

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 113 .

[2]- المعتزلة : فرقة كلامية امتازت بإفساح المجال للاجتهاد والبحث النظري واعتماد العقل لفهم النص الشرعي، وقد سموا معتزلة لأن واصل بن عطاء الملقب (80- 131هـ/702- 753م) صاحب المذهب، لأنه اعتزل مجلس الحسن البصري لما قال مرتكب الكبير " منافق "، قال واصل هو " فاسق "، فطرده حسن البصري عن مجلسه، فاعتزل عنه إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقال ناس: انه اعتزل الأمة، فسمي أتباعه معتزلة، وأصولهم هي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أنظر الشهرستاني، الملل والنحل، تح: ألبير نصري نادر، دط، دار المشرق بيروت- لبنان، 1986، ص 83 وانظر: أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية (من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله)**، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 2000م، ط1، ص 31 .

بعض الأقوام الذين قدموا من الشام ومن العراق خصوصا مع الولاة، وفي ظروف مختلفة فانتحلوا الوظائف الإدارية والعسكرية وغيرها من المصالح العليا في لدولة، هؤلاء كانوا جميعا من الأسر العراقية التي تنتسب من قريب أو من بعيد إلى الجنس الفارسي الذي كان بإفريقية مثلما كان في مشرق محرك الحياة العقلية[1].

ظهر الاعتزال على أيدي هؤلاء فوقف لهم المالكية موقف الخصم اللدود والمقاوم العنيد، ومن أهم المسائل التي شدت انتباه القيروانيين مسألة النظر إلى الله ومسألة الصفات التي تفرعت عنها مسألة كلام الله وخلق القرآن، وساير البعض من الأحناف الأغالبة في توجههم المعتزلي وتبنيه، وهذا ما جعل المالكية تشددوا في مقاومة ذلك التوجه[2] .

ومن الفقهاء الذين كانوا شوكة في حلق المعتزلة نجد الفقيه البهلول بن راشد (183هـ/ 799م)، الذي كان لا يصافحهم ولا يصلي على أمواتهم و كان يأخذ موقفا حتى من تلامذته وأصحابه إذا يمرون بمجالس أهل الاعتزال ويبادلونهم التحية، قال سحنون: "أتيت يوما إلى بهلول فوافاني رجل من أهل الأهواء على بابه، فسألني عن الشيخ، فلم أجبه والشيخ يسمع فلما دخلت سلمت عليه، فلم يرد علي وأعرض عني، فلما خرج الناس جثوت بين يديه، وقلت له: ما قصتي ؟، فقال: سلم عليك رجل من أهل الأهواء وسألك عني، فقلت له: ولله ما رددت عليه جوابا، فقال: مرحبا وأهلا، وسلم علي، ثم قال: بهذا يعرف الحق من الباطل"[3].

ولعل أول من قاوم بشدة وعنف آراء المعتزلة ومسألة خلق القرآن أسد بن الفرات، فقد وقف ضد تسرب مبادئ المعتزلة، وضد الذين يحاولون نشرها في القيروان، فيذكر أنه كان

---

[1]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص ص 92، 106 .

[2]- نجم الدين الهنتاني، **الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 44، 2000م، ص ص 181- 182 .

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق ،ج3، ص 97 .

يكفر بشر المريسي[1] ويتكلم فيه بأقبح الكلام وبلغه أنه وضع كتابا وسماه كتاب التوحيد فقال أسد: "أو جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابا؟ هذه نبوة ادعاها"، وقال أيضا: "...ولقد هممت أن أختلف بألواحي إلى بشر فلم أفعل، فلما قدمت بلغني أنه تزندق وتعدى..."، وتحدث أسد بحديث فيه رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة، وسليمان العراقي آخر المسجد، فتكلم وأنكر، فسمعه فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله، فضربه ضربا شديدا حتى أدماه[2] .

وتتوالى مواقف فقهاء المالكية ضد المعتزلة، فحينما أستفتي عون بن يوسف الخزاعي (ت 239هـ) حول دفن رجل من القائلين بخلق القرآن فقال: "إن وجدتم من يكفيكم مؤونته فلا تقبروه، فقالوا: لا نجد، فقال: اذهبوا فواروه من أجل التوحيد"[3]، وعندما تولى الإمام سحنون القضاء، قام بتفريق أصحاب الأهواء، وهذا ما يؤكده الدباغ أن من بينهم المعتزلة حيث يقول: "... فرق أهل البدع من الجامع، وكانوا فيه حلقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة"[4].

فمن بين الموافق التي حدثت للإمام سحنون حضوره لجنازة أخيه وهب من الرضاعة فتقدم ابن ابي جواد الذي كان قاضيا قبله وكان يذهب إلى رأي الكوفيين، ويقول بالمخلوق فصلى عليه، فرجع سحنون ولم يصلي خلفه، فبلغ ذالك الأمير زياد الله، فأمر أن يوجه إلى عامل القيروان أن يرب سحنونا خمسمائة سوط، ويحلق رأسه ولحيته، فبلغ ذالك وزيره علي بن حميد، فدخل على الأمير وقال له: ما شيء بلغني في كذا ؟، قال: نعم، قال: لا تفعل

---

[1]– هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب، المتكلم المناظر البارع، من كبار الفقهاء أخذ عن القاضي يوسف وروى عن حماد بن سلمة، نظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن، فمقته أهل العلم وكفره بعضهم . أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص 199.

[2]– المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 264– 265 .

[3]– يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج2، ص 16 .

[4]– الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 87 .

فإن العكي إنما هلك في ضربه للبهلول بن راشد، فقال الأمير: وهذا مثل البهلول ؟، قال نعم، فشكره ولم ينفذ أمره[1].

وقال يحي بن عون: "دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، وكان من أصحابه، وأصابه في علته قلق، فقال له: يا ابن القصار ما هذا القلق الذي أنت فيه ؟، قال: الموت والقدوم على الله عز وجل، فقال له سحنون: ألست مصدق برسل أولهم وآخرهم والبعث والحساب والجنة والنار؟، وأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبوبكر ثم عمر؟ وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؟، وأن الله يرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة وإن جاروا، قال: أي والله لا إله إلا هو، فضرب سحنون بيديه على ضبعيه وقال: مت إذا شئت مت إذا شئت، ثم خرج عنه[2] ..." .

اتخذ الإمام ابن سحنون موقفا صارما من أمراء الأغالبة ، فكان لا يقضي لهم أمرا ولا يجيبهم في أي مسألة، مثلما جرى الأمر مع زيادة الله بن الأغلب الذي كان على مذهب الاعتزال حينما كتب إلى علماء إفريقية يسألهم أن مسألة، فأخبروه إلا سحنون، فعوتب في ذالك فقال: "أكره أن أجيبه فيكتب إلي ثانية"، استثقالا لمعرفة الأمراء، فقال له: إبراهيم بن عبدوس في مثلها : أخرج من بلد القوم، أمس لا تصلي خلف قاضيهم واليوم لا تجيب في مسألتهم، فقال سحنون: "أجيب رجلا يتفكه في الدين، لو علمت أنه يقصد الحق لأجبته"[3] .

أقدم محمد بن أغلب على توليت سحنون القضاء، وأراد أن يسترضي بذلك عامة أهل القيروان لما كان بينه وبين أخيه أحمد من نزاع، فأنكر عليه ذلك أهل بيته، فلما مات سحنون، اجتمع أصحابه فدبروا مع ابنه محمد أن يأتي محمد بن الأغلب فيخبره بموت أبيه ويذكر له أنه أوصاه أن يصلي عليه، فأخرج نعش سحنون بالقرب من بيته، وخرج محمد بن

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 70 .

[2]– المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 367 .

[3]– القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص 115 .

أغلب مع جماعة من أهل بيته ورجاله من القصر القديم، فتقدم محمد بن أغلب فصلى على سحنون[1]، إلا أصحاب أهل بيت محمد بن الأغلب (وأكثرهم كانوا معتزلة)، امتنعوا أن يصاحبوه لصلاة عليه، قائلين إن سحنون كان يكفرنا ونكفره[2] .

واصل تلاميذ سحنون على نهج شيخهم بعد وفاته في مقاومة المعتزلة ، ومن بينهم ابنه محمد ابن سحنون (256هـ/872م) الذي عُرف بتصديه للمعتزلة ومناظرتهم والرد عليهم بتأليف، إذ كتب الحجة على القدرية، والرد على أهل البدع، كما ناظرهم في المجالس التي عقدت برقادة[3].

ويذكر لنا المالكي أن محمد بن سحنون حضر يوما مجلسا عند الوزير علي بن حميد، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسنون المناظرة، وكان معهم شيخ قدم من المشرق يقال له سليمان النحوي، وكان يقول بخلق القرآن ويذهب إلى الاعتزال، فقال الوزير لمحمد : "يا أبا عبد الله إن هذا الشيخ قد وصل إلينا من المشرق وقد تناظر معه هؤلاء فناظره فقال محمد : تقول أيها الشيخ أم تسمع ؟ فقال له الشيخ : قل يا بني، فقال محمد : أرأيت كل مخلوق هل يذل إلى خالقه ؟ فسكت الشيخ ولم يجب، فسخر منه محمد وشبهه بالميت الذي مرت عليه سنة، فقام محمد وأجاب عن سؤاله بنفسه وقال : إن قال كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر، لأنه جعل القرآن ذليلا لأنه يذهب إلى أنه مخلوق، وإذ قال أنه لا يذل فقد رجع إلى أهل السنة[4].

واصل محمد بن سحون بالضرب بيد حدد على أصحاب أصحاب الفكر الاعتزالي، وهذه المرة مع سليمان الفراء (269هـ/882م) المعروف بابن أبي عصفور، وإن كان هذه المرة حول أسماء الله سبحانه وتعالى، قال: يا أبا عبد الله، هل الله سبحانه وتعالى سمى نفسه؟

---

[1]– القاضي نعمان، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، 1986م، ص 61 .

[2]– الهنتاني، المرجع السابق، ص 97 .

[3]– عبد المجيد بن حمده، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس، 1986م، ط1، ص 164 .

[4]– المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 449 .

وكان سليمان يريد بهذا السؤال أن يجيبه محمد بنعم لكي يوقعه في الفخ، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات، لكن محمد ابن سحنون أجابه بقوله: "الله سمى نفسه لنا ولم يزل وله الأسماء الحسنى"[1] .

كما توسط محمد بن السحنون عند الأمير محمد بن أحمد بن محمد الأغلبي من أجل عزل إمام جامع القيروان ابن أبي الحواجب المعين من قبل القاضي سليمان بن عمران الحنفي (الذي كان حاقد على محمد ابن سحنون ومنافسه)، وتعيين الفقيه ابن أبي طالب على صلاة فكان له ذلك، فلما حان يوم الجمعة صعد ابن ابي طالب على المنبر وقال: "الحمد لله الذي شُكِر على ما به أنعم، والحمد لله الذي عذب على ما لو شاء منه عصم، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في آخرة يرى"، فغضب سليمان وحلت به كآبة[2].

وناظر أبو عثمان سعيد بن الحداد (330هـ/ 943م) سليمان الفراء شيخ المعتزلة (296هـ/883م) بهدف كسر شوكة المعتزلة والقضاء عليهم، حيث قال الفراء ابن الحداد: "يا أبا عثمان أين كان ربنا إذ لا مكان ؟، فقال له ابن الحداد: السؤال محال لأن قولك أين كان يقتضي المكان، وقولك إذ لا مكان ينفي المكان، .... فقال السعيد ضغطت عليه جعل يقول لي يا أبا عثمان إن المسألة عظيمة كبيرة فتدبرها، فعلمت أنه رجل يريد الستر على نفسه"[3] .

وعرف القاضي ابن عبدون بين الفقهاء المدنيين أنه كان يظهر البدعة وشديد على فقهاء السنة، حيث أنه حضر جنازة مع الفقيه جبلة الصدفي (210/ 299هـ)، فتقدم جبلة فصلى ابن عبدون خلفه، ثم حضرت جنازة أخرى فقدم عليها ابن عبدون فلم يصلي جبله

[1]– الخشني، المصدر السابق، ص 61 .

[2]– القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص 180 .

[3]– الخشني، المصدر نفسه، ص 61 .

وراءه وانصرف من جهة القبلة، فشق ذلك على ابن عبدون وأرسل إلى جبلة في ذلك وقال له:"أتظن أنني أقول بخلق القرآن ؟ فقال له جبلة: أمرك عندي أشر ألست الذي ضربت ابن معتب والربيع، وأطقتم في السياط وتنادي عليهم حزب الشيطان..."[1].

وفي عهد الأمير أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (289/ 290هـ/902- 903م)، عمد إلى انتهاج أسلوب مغاير لأسلوب أسلافه في تأييدهم لمسألة خلق القرآن، فلم يكتفي بالتأييد الاعتقادي العلني، بل أمر بكتابة منشورات تدعوا إلى القول بخلق القرآن بالقوة والإكراه، الأمر الذي أثار علماء المالكية وأغضبهم، وكان الذي تولى هذا الأمر وأقنع الأمير به هو الفقيه الحنفي ذو الميول الاعتزالية محمد بن شعيب الصديني الذي ولاه أبو العباس القضاء في نفس العام الذي تولى هو فيه الإمارة أي سنة 289هـ[2] .

ولما توفي أبو العباس ولي بعده ابنه زيادة الله[3] الثالث ابن الأغلب (290هـ) الذي قام بتولية الفقيه المالكي حماس بن مروان (ت303هـ) قضاء إفريقية، وعزل القاضي الخبيث المعتزلي الصديني، وأراد زياد الله أن يسترضي العامة بولاية حماس حيث كتب مخاطبا الناس:"إني عزلت عنكم الجافي الجلف المبتدع ووليت حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة"، فكان ذالك في رمضان سنة 270هـ فرضيت الخاصة والعامة وسرت به

[1]- القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص 286 .

[2]- يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،ج2، ص 21 .

[3]- هو زيادة الله بن أبي العباس عبد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وهو آخر أمراء الدولة الأغلبية الملقب بزياد الله الثالث حكم بعد مقتل أبيه من 290هـ/ 903م إلى 296هـ/ 909م، وكان عزله وسقوط دولته على يد أبو عبد الله الشعي بعد أن أرسى قواعد الخلافة الفاطمية في إفريقية سنة (296هـ/909م) . أنظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 134، 135، 149 .

قال أبو العرب في توليت حماس بن مروان: "جمع الله به القلوب النافرة، والكلمة المختلفة، وفرح به أهل السنة، وكان في القيروان لولايته فرح شديد"[1].

إن اضطهد فقهاء المالكية من أجل دينهم وإسلامهم برغم من أنهم كانوا من عامة الشعب ولا سلطة لهم تحميهم عكس المبتدعة من المعتزلة الذين كان جلهم من الأمراء والقضاة الذين استغلوا نفوذهم من أجل نشر معتقدهم، وهذا الأمر الذي جعل من فقهاء المغرب يرون أن المعتزلي إذا مات يموت على غير الإسلام فكان معظم فقهاء المالكية يرفضون مصافحتهم أو مجالستهم أو الصلاة عليهم لما كانوا عليه من ضلالة .

2/4-انعكاسات الصراع على واقع الفقهاء المالكية.

برغم من المحن التي تعرض لها الفقهاء المالكية إلا أنهم استطاعوا تقلد المناصب في عهد الأغالبة، كما استطاعوا أن يكونوا لهم مكانة خاصة في المجتمع آنذاك، ونشر المذهب المالكي وتثبيته، وفي ما يلي نبين المناصب التي وصل إليها وكذا مكانتهم في المجتمع:

أولا: المناصب التي تولها الفقهاء المالكية:

1-القضاء: من المناصب التي تقلدها بعض فقهاء المالكية منصب القضاء، ومن بين الذين اشتغلوا هذا المنصب نجد كل من عبد الله بن عمر بن غانم الذي ولي القضاء في عهد الأمير روح بن حاتم المهلبي وبقي في منصبه إلى حين وفاته سنة 189هـ[2]، والإمام سحنون الذي ولي القضاء سنة 234هـ[3]، واستمر من قبل الأمير محمد بن الأغلب 226هـ

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 70 .

[2]- الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح وتع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، تونس، 1994، ط1، ص ص 11-126.

[3]- ابن خلدون، **العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ض: خليل شحادة، ج4، دار الفكر، لبنان، 2000م، (د،ط)، ص 200 .

وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية سنة 240هـ[1]، ومن الذين تولوا القضاء أيضا عبد الله بن طالب الذي ولي قضاء القيروان مرتين أيام الأمير محمد بن أحمد بن الأغلب[2] وعيسى بن مسكين الذي ولاه القضاء الأمير الأغلبي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (261–289هـ)[3] وابن البناء (232–303هـ) الذي ولي هو كذلك قضاء قسطيلية من قبل أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد وأيضا أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمداني (222-330هـ) وذلك في رمضان سنة 290هـ[4].

يبدو أن الأمراء والحكام لجئوا لتعيين هؤلاء في هذا المنصب نظرا لمكانتهم العلمية حتى يستفيدوا من خدماتهم في هذا المجال وأيضا للمكانة المرموقة التي حظوا بين أفراد المجتمع، لذا لم يجدوا بدا من الاستعانة بهم في مداراة العامة[5]، وأيضا مهما كان الأمر فإن هذا المنصب على قدر كبير من الأهمية إذ إنه يعد ثالث السلطات التنفيذية الرئيسية، وذلك بعد الإمامة ثم الوزارة، كما أن متوليه كان يقابل بالاحتفاء والتعظيم من قبل الناس وهذا ما يتيح للمتولين له تأثيرا كبيرا في الحياة الاجتماعية[6].

2- كتابة الوثائق: لقد تقلد العديد من الفقهاء المالكية هذا المنصب في العهد الأغلبي كأبو جعفر بن نصر الهواري توفي 235هـ[7]، وأبو الفضل عباس بن عيسى الممسي[8]، ومن

---

[1]– ابن فرحون، المصدر السابق، ص 265 .

[2]– الخشني، المصدر السابق، ص ص 306-307 .

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 203-205 .

[4]– المالكي ، المصدر السابق، ج2، ص 257 .

[5]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص 43-44 .

[6]– القاضي عياض، تراجم، المصدر السابق، ص212 .

[7]– القاضي عياض، تراجم، المصدر نفسه، ص ص 366-370 .

[8]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج2، ص 72 .

العالمين بالوثائق[1] أيضا تميم بن حمدان بن تميم السرتي (ت346هـ) الذي عني بالمناظرة عليها[2] وغيرهم كثير، وهذا لتوفر شروط هذا المنصب فيهم وهي كالتالي:

-**العلم:** وذلك بأن يكون على دراية بطريقة التوثيق، حتى يتجنب الوقوع في بعض الأخطاء المتعلقة بشكل الوثيقة ومتنها، والتي قد تؤثر سلبا على مصداقيتها .

-**جودة الخط:** وهذا تجنبا لأي لبس أو غموض قد يقع في الوثيقة جراء عدم وضوح مضمون.

-**البلاغة:** وذلك حتى يكون متنها محدد الدلالة لا يكتنفه أي غموض، وبشأن هذه الأخيرة يقول هيثم القيسي :"إنما الوثائق عرض فمن كانت فيه مسكة رشقها"[3].

ثانيا: مكانتهم الاجتماعية

تبوأ فقهاء المالكية منزلة مرموقة في المجتمع الإفريقي، حيث تمتعوا بنفوذ قوي في الأوساط الاجتماعية، وقد أفصحت لنا كتب التراجم والطبقات أحيانا بشكل صريح عن مقام بعض هؤلاء الفقهاء بين أبناء مجتمعهم، ومنهم أبو عبد الرحمان عبد الله بن غافق التونسي(184-275هـ) الذي كانت له طاعة بتونس، لا يتقدمه أحد منهم أي من أهل تونس في وقته، ولا يخالف أمره[4]، وأبو الحسن علي بن تمام المعروف بابن بنت المهدي الذي عرف بكثرة أتباعه[5]، ويكفي للوقوف على مدى الاحترام والتقدير الذي كان يكنه أهل

---

[1]- **الوثيقة لغة:** من وثق به، أو يثق به، أي ائتمنه، والميثاق العهد وجمعه مواثيق، أو مياثيق، والمواثقة المعاهدة، وأوثقه في الوثاق أي شده، والوِثاق بكسر الواو لغة فيه، والوثيق الشيء المحكم, ويقال: أخذ منه الوثيقة، وهي كلها ألفاظ تدل على الثقة والإحكام والصدق. **أما اصطلاحا** فهي: صك أو سجل، تصدره هيئة رسمية معترف بها، وتحتوي على معلومات معينة، بحيث يؤمن التباسها، وتحمل سمات تعود لتلك الهيئة.ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ص 708-709.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 51.

[3]- الخشني، المصدر السابق، ص 249.

[4]- القاضي عياض، تراجم، المصدر السابق، ص 309.

[5]- القاضي عياض، المدارك، المصدر نفسه، ج2، ص 325.

إفريقية لهم، تلك الوفود الحاشدة التي كانت تحضر جنائزهم، والحزن الذي كان يخيم عليهم عند فقدان أحدهم، والمراثي التي تقال عقب ذلك، فمثلا لما توفي محمد بن سحنون(256هـ) ضربت الأخبية حول قبره وأقام الناس فيها شهورا كثيرة حتى قامت الأسواق، والبيع والشراء[1] حول قبره من كثرة الناس ولما توفي عيسى بن مسكين (259هـ) بالساحل وبلغت وفاته القيروان، قال أحد القيروانيين:"ذل رجل حزنت لموته إفريقية"[2]، ولما توفي الإمام سحنون رثاه أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري اللغوي[3] بقوله:

ولى-لعمري- بأرض المغرب قاطبة ميت له البدو، والحضار قد خشعا

فاذهب فقيدا حباك الله جنته واحصد من الخير ما قد كن مزدعا[4]

لا ريب أن من مصادر هذه المكانة هو ما حازوه من علم شرعي، وارتباطهم الشديد بأفراد مجتمعهم، شأنهم في ذلك شأن علماء الإسلام في كل الأزمنة [5]، وخصوصا الفقهاء منهم الذين تبوئوا مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي، وشكلوا سلطة ضاهت السلطة السياسية أحيانا، وذلك نظرا لما تمتعوا به من نفوذ اجتماعي ذا طابع روحي قائم أساسا على الاختيار والإقناع، الأمر الذي جعلهم أشد تأثيرا في نفوس أفراد الأمة من تأثير ممثلي السلطة السياسية، وقد أضحوا يمثلون خطة قائمة بذاتها في بعض الفترات في بعض الأقطار، وهي خطة الفقيه، ويبدو أن ذلك يعود أساسا لكون المعرفة التي يحصلها الفقهاء تتمتع بإجماع حول أولويتها وضرورياتها، مما يضفي عليها سلطة مؤثرة بكيفية ما، كما أن الفقيه يعد أحسن رمز للمعرفة في الحضارة الإسلامية، فما من فقيه إلا وتجده ملما بعلوم متعددة، حتى أصبح اسم العالم إذا أطلق انصرف معناه في الغالب إلى الفقي ، ولعل مما

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص163.

[2]- القاضي عياض، تراجم، المصدر السابق، ص ص 152-152.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 403-407.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 136.

[5]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 211.

عضد سلطتهم أيضا ما ذهب إليه بعض العلماء من حمل، أنه يبدو أن المنزلة التي تبوأها فقهاء المالكية بإفريقية لا يمكن تفسيرها بناء على هذه العوامل فقط، لأن مكانة الأشخاص تحددها أيضا عوامل أخرى ولاسيما الممتلكات والوظائف، والنفوذ السياسي، والسلوك الاجتماعي[1].

يمكن القول أن المناصب التي تولها الفقهاء المالكية في عهد الأغالبة، والمكانة التي حظوا بها في أواسط المجتمع، وصبرهم على المحن وتميزه بالورع والزهد، جعل كل المكائد وعنف السلطة الحاكمة تفشل في كبح الانتشار الهائل المذهب المالكي، وفشل كل المذاهب التي دخلت لبلاد المغرب ولم تجد لنفسها موطئ قدم، كما فتح للمذهب المالكي طريقا للتوغل في أعماق بلاد المغرب الإسلامي ليصبح بعد ذلك المذهب الرسمي للبلاد منذ تلك الفترة إلى يومنا هذا.

[1] محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ط9، ص 14.

الفصل الثالث: نائبة المالكية وكفاحهم ضد الشيعة الإسماعيلية

1- الدعوة الشيعية وموقف المالكية منها

2- سياسة العبيديين القمعية تجاه الفقهاء المالكية

3- المالكية وثورة أبي يزيد الخارجي

4- نتائج الصراع المالكي الشيعي على المستويين السياسي والفكري

لقد كان للعلماء المالكية السنة مواقف صارمة، ومناهضات قوية ضد المذاهب العقائدية والفقهية التي وصلت بلاد المغرب الإسلامي أيام دولة بنو الأغلب، ولم تتوقف مناهضاتهم بزوال الأغالبة بل زادت أكثر فأكثر، وهذه المرة أمام أخطر ما وطأ أرض هذه المنطقة ألا وهو المذهب الإسماعيلي الشيعي، والذي بدخوله أحدث بلبلة سياسية ومذهبية دفع ثمنها أناس لا ناقة لهم فيها ولا جمل، فما كان من العلماء المالكية إلا أن وقفوا في وجه هذا الخطر الذي أحدق بالناس على طول فترة بقائه في البلاد، فكلفهم قول كلمة الحق استباحة لدمائهم وتنكيلا بهم واضطهادا لهم، وفي هذا الفصل سنرى كيف كانت محنة العلماء المالكية في عهد الدولة العبيدية الشيعية، وكيف قاوموا أفكارهم وجورهم ؟.

3/1-الدعوة الشيعية وموقف المالكية منها:

***بداية التشيع:** بدأ التشيع كفكرة بسيطة واضحة محدودة المبادئ فكان كما عرفه ابن خلدون: هم الصحب والأتباع، يطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم[1]. وفصل الشهرستاني في تعريف الشيعة فقال: الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده[2].

تطورت آراء وتعاليم الشيعة في العصرين الأموي والعباسي نتيجة تغير الظروف السياسية، وظهور الفرق الدينية والسياسية الأخرى"[3]، وبسبب المتطفلين من اليهود والمجوس ومن كل من له عداوة للإسلام، والذين وجدوا في قضية آل البيت غايتهم فخلطوه

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 38.

[2]- ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي وشركاه، مصر، 1968م، ص146 .

[3]- علي حسين الخربوطلي، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، 1972م، ص 8 .

بدسائس من أهـواء وبدع وغـلو، وهو مـا يؤكـده ابن الأثير الذي قال: "وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة وتفرق أصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه"[1] ويضيف إحسان الهي ظهير فيقول : "والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجـأ إلـيه كل من أراد هدم الإسلام لعداوته وحقده، وكل من استهدف إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، وكل من كان يقصد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستار يضعون وراءه كل ما شاءته أهوائهم"[2].

وتطور التشيع في المشرق أدى إلى قيام عدة فرق اختلفت فيم بينها، لكنها تكاد تتفق فيما يتعلق بصفات الإمام ومناقبه،[3] ومن بين هذه الفرق الشيعية الفرقة الإسماعيلية[4] التي وجدت في بلاد المغرب مستقرا لها لتأسيس إحدى أكبر الدول في تاريخ العالم الإسلامي.

***الدعوة الشيعية وقيام الدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي:** "كانت بلاد المغرب ملجأ للهاربين المعادين للخلافة منذ أن افتتح المسلمون شمال إفريقيا، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة في المشرق في دمشق، ثم صارت بلاد المغرب أكثر بعداً بعد أن انتقلت الخلافة إلى بغداد على يد بني العباس،"[5] فأخذ دعاة الشيعة الإسماعيلية يحولون ناظرهم

---

[1]– ابن الأثير (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ر، تص: محمد يوسف الدقاق، مج6، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م، ط1، ص 448 .

[2]– إحسان الهي ظهير، **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1987م، ص 34 .

[3]– ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ط3، ص 152

[4]– زعمت أن الإمام جعفر بم محمد ابنه (إسماعيل بن جعفر) وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه وقالوا كذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنه القائم لن أباه أشار إليه بالإمامة بعده . ينظر: الحسن بن موسى النوبختي، **فرق الشيعة**، منشورات الرضا، لبنان، 2012م، ط1، ص 114.

[5]– سنوسي يوسف إبراهيم، **زناتة والخلافة الفاطمية**، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986م، ط1، ص153 .

نحو بلاد المغرب الإسلامي وأوفدوا إليها رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بأبي سفيان، وقالوا لهما: "إن المغرب أرض بور فاذهبا فاحرصا[1] حتى يجيء صاحب البذر" فسارا فنزل أحدهما بأرض كتامة ببلد تسمى مرمجنة والآخر بسوق حمار، فمالت القلوب إليهما"[2] "وفشا هذه الدعوة في تلك النواحي[3]، إلا أنهما لم يطل بهما الأجل حتى يريا نتيجة جهودهما، فقد ماتا في فترة متقاربة[4].

ثم تفاوضوا وتراسلوا على أن يرسلوا داعيا إلى المغرب، يدعوا الناس إلى الدين بحب أهل البيت فاختاروا منهم رجلا ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة يسمى أبا عبد الله الصنعاني، وجمعوا له مالاً يتقوى به على سفره، فسار أبو عبد الله هذا إلى موسم الحج ليجتمع مع من يحج تلك السنة من أهل المغرب[5]، ولقي به رجالات كتامة واختلط بهم ووجد لديهم بذرا من ذلك المذهب فاشتملوا عليه، وسألوه الرحلة فارتحل معهم إلى بلدهم ونزل بها وجاهر بمذهبه، وأعلن إمامة أهل البيت، ودعا للرضي من آل محمد[6]، فالتزمت كتامة الطاعة لأبي عبد الله، ودخلت قبائل كثيرة في دعوته فصير لهم ديوانا، وألزمهم العسكرية وقال لهم: (أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت، الذي صفته كذا وكذا)[7]، فدانت له بلاد إفريقية بعد أن مني بعدة انتصارات على بنو الأغلب وعلى من تحاملوا عليه من البربر.

---

[1]– وفي بعض المصادر يقال: واحرثاها. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص41 .

[2]– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 450 .

[3]– ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص41.

[4]– سنوسي يوسف إبراهيم، المرجع السابق، ص 159.

[5]– ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 124 .

[6]– تقي الدين أحمد بن على المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: جمال الدين الشيال، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م، ط2، ص ص 51،52 .

[7]– ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ص 128 .

ثم بعث الصنعاني إلى عبيد الله[1] رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم، وأنهم في انتظاره"[2]، وما كاد الخبر يصل إلى عبيد الله المهدي في سلمية حتى أعد العدة[3] وحمل نفسه على الرحيل صوب بلاد المغرب الإسلامي، وبويع عبيد الله المهدي بيعة عامة في القيروان في ربيع الآخر سنة 297هـ وبذلك انتهت ولاية أبي عبد الله الشيعي"[4]، وأُعلِنَ عن قيام الدولة الفاطمية –نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول ﷺ وزوجة على بن أبي طالب وأم الحسنين رضي الله عنهم جميعا– كتتويج لنجاحات الإسماعيلية المبكرة، فالدعوة الدينية السياسية للإسماعيلية قادت في نهاية الأمر إلى إنشاء دولة ترأسها الإمام الإسماعيلي"[5]

– على الرغم من أن أبا عبد الله الشيعي قد تمكن في بداية دعوته من إعداد مجتمع على أسس إسلامية، فصنع ذلك المجتمع المثالي الأفلاطوني بدعوى دامت ستة عشر سنة تمكن خلالها من إنشاء مجتمع ينبذ الخلافات وينبذ العصبة القبلية، مجتمع أخوي فكان الرجل منهم يقول للآخر أخي، وهو ما يؤكده القاضي نعمان حين قال: "وتحامى الناس المعايب وتركوا الاختلاف في المذاهب وصاروا على أمر واحد يتَّسَمَّوْن إخوانا، ويتواصلون سراً وإعلانا، إذا دعا الواحد منهم من لا يعرف اسمه أو أحب أن يكني عنه في دعائه إيَّاه أو حديثه له، قال:(يـــا أَخَانَا)"[6]، إلا أنه لم يستطع أن يخفي توجهه الشيعي المغالي الناقم

---

[1]– وقد اختلف في نسبه: فادعى أنه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقال سائر الناس إنه ادعى، وإن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة. ينظر: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد(ت626هـ)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة وعويس عبد الحليم، دار الصحوة، مصر، (د،ت)، ص 29 .

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44.

[3]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص144 .

[4]– حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص145 .

[5]– فرهاد دفتري، **الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم**، تر: سيف الدين القصير، دار السافي، لبنان، 2012م، ط1، ص 255 .

[6]– القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 123 .

على الصحابة كعمر وأبي بكر –رضي الله عنهم وأرضاهم– فكان أول ما سنه هو إلغاء صلاة التراويح وهو ما يؤكده صاحب البيان فيقول:" وجاء شهر رمضان. فقال أبو عبد الله للشيخ: إن رمضان قد جاء، ومذهبنا أنه لا تصلى التراويح، لأنها ليست من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما سنها عمر–رضي الله عنه وأرضاه– ونحن نُطَوِّل القراءة في صلاة العشاء الأخيرة، ونقرأُ بالسور الطوال، فيكون ذلك عوضاً عن التراويح."[1]ويضيف فيقول: وأمر بأن يزاد في الآذان ‘بعد حي على الفلاح’ ‘حي على خير العمل’ وأسقط من آذان الفجر ‘الصلاة خير من النوم’[2].

هكذا فقد اقتصر في أول الأمر على بث بعض الأفكار البسيطة التي وإن كانت مبتدعة إلا أنه صاغ حجتها بحب آل البيت ومخالفة الصحابة رضوان الله عليهم، ليأتي بعد ذلك عبيد الله المهدي الذي أظهر للناس التشيع المغالي محدثا تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها وإرغام الناس عليها كإسقاطه الرجم عن المحصنين في الزنا وإسقاط المسح على الخفين والصوم بالعلامة والفطر بها لا بالرؤية، وتحليل المطلقة ثلاثا إلى غير ذلك من المستحدثات"[3].

ولم يتوقف عن هذا الحد من الخلط في العقيدة فأظهر المحدثات وطقوس مبتدعة كالجهر بأنه رسول ونبي والتوسم بصفات الخالق فحمل دعاته الذين بثهم لتعليم مذهبه في كل الأنحاء ويعلنوا نبوته بل قد وصفه أتباعه بصفات ربوبية والإقسام به كقولهم: "وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة"[4]، كما وجههم إلى الأطراف ليظهروا التشريق بتحليل المحمرات وإباحة الممنوعات،وذلك بجس نبض الناس فإن أقبلوا على أفكارهم أشاعوها ونشروها عند العامة "فكان الرجل يدخل على حليلة جاره فَيَطَأُها وزوجها حاضر

[1]– ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص127 .

[2]– ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ص 151 .

[3]– بلهواري فاطمة، المرجع السابق، ص ص 27،28 .

[4]– ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه ، ص160 .

ينظر إليه، ثم يخرج فيبصق في وجهه، ويصفع قفاه، ويقول له تَصَبَّر فإذا صبر عُدَّ كامل الإيمان وسمي من الصابرة."[1] وقد بالغ المتشرقون[2] في تعظيم عبيد الله فنرى **أحمد البلوي النخاس** الذي كان يولي في صلاته مكان تواجد المهدي فجعله قبلة له، وكان يقول: "لست ممن يعبد من لا يُرَى" وكان يتصدى لعبيد الله ويقول له: "أرْقَ إلى السماء كَمْ تقيمُ في الأرض وتمشي في الأسواق"[3].

***موقف المالكية من الدعوة الإسماعيلية:** لقد كان للمالكية منذ الوهلة الأولى مواقف من المد الشيعي الذي استشرى في المنطقة، فكانت أول مواقفهم أيام الدولة الأغلبية حين جمع الأمير زيادة الله الثالث (290-296هـ) الفقهاء المالكية للاستعانة بهم على عدوه مستدلا بأفعال وأقوال الشيعي في حق الصحابة الذين كان يلعنهم وحكم على بعضهم بالردة فأثارهم القول ومكنوه من "فتوى ساعدته على الدفاع عن ملكه فقد أظهروا لعن الصنعاني والبراءة منه وحرضوا الناس"[4]على قتاله وأفتوهم بمجاهدته"[5].

على الرغم من محاولة الفقهاء تحريض العامة بفتواهم ودعوتهم للجهاد مع الأمير إلا أن العامة رفضت مساندته وهو ما يعلله النعمان حين قال: "فما زاد الناس ذلك إلا خوفا، وإرجافا وتهاونا بأمره واستخفافا وجعلوا يذكرون أحواله ويعددون أفعاله وسفكه دم أبيه وإخوته وعمومته..."[6]، فرضخت العامة وشيوخ وعلماء القيروان للشيعي وخرجوا للقائه ولتهنئته بالانتصار حين دخوله البلد فطلبوا منه الأمان فأمنهم.

---

[1]- ابن عذاري المراكشي، المصدر الساق، ص 185 .

[2]- المتشرقون: هم الذين قبلوا التشريق والدخول في مذهب المشارقة أي المذهب الشيعي، وفي هامش المدارك يشرقهم هي: أي يحملهم على مذهب المشارقة وهو التشيع. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص252 .

[3]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 186 .

[4]- الهنتاتي، المرجع السابق، ص 155 .

[5]- ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ص 137 .

[6]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص 191،192 .

إلا أن هناك من رفض الإذعان للشيعي والخروج لتهنئته **كالوردائي** (ت300هـ)[1] الذي تذكر المصادر أنه لما دخل الشيعي القيروان وطلب أهل الخير كان ممن طُلبوا فرفض وقال لأهله: "إما أن أهرب من إفريقية فلا تروني أبدا أو تتركوني أرعى البقر...فأقبل على رعاية البقر"[2]، ومنهم أيضا **جبلة بن حمود** (ت299هـ) الذي كان موقفه ثابت من العبيديين، فحين دخل الشيعي إفريقية ومَلَكَهَا ونزل برقاد ترك سكنه في الرباط[3] ونزل بالقيروان فسُأل عن ذلك فقال: كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر فتركناه وأقبلنا على حراسة هذا الذي حل بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم"[4].

وكان **لجبلة** موقفا آخر حصل معه حين دخل عبيد الله القيروان وخطب أول جمعة وجبلة جالس عند المنبر، فلما سمع كفرهم قام قائما، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس، وخرج يمشي وهو يقول: "قطعوها قطعهم الله"، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك"[5]. فكان يقصد صلاة الجمعة لما سمع فيها من كفر وسب للصحابة فحسب صاحب البيان فقد "أظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه، حاشى علي بن أبي طالب وبعض الصحابة، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعده"[6]، فقوطعت صلاة الجمعة من أهل العلم **كعلي بن محمد بن مسرور الدباغ (ت359هـ)** الذي "كان يوم الجمعة يغتسل ويلبس

---

[1]– أبو محمد يونس بن محمد الوردائي من أصحاب السحنون سمع منه الكثير، توفي في الورداء سنة ثلاثمائة، ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص219./ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص45

[2]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص419 .

[3]– كلمة تعني مكانا محصنا (قلعة، برج، خندق، خان، مدينة محصنة...)، وكانت هذه المنشآت توجد خاصة على الحدود والسواحل والطرق الداخلية الغير آمنة. ينظر: ناجي جلول، **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م، ص 16 .

[4]– المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص 38 .

[5]– الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 273 .

[6]– ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص159 .

ثيابه ويتطيب، ويخرج حتى يصل إلى الجامع ويرفع عينيه إلى السماء ويقول: اللهم اشهد ورجع إلى داره"[1].

وهكذا فقد اتبع المالكية سياسة المقاطعة وبناء الهوة بين العبيدين والمجتمع من خلال عدة طرق، كإصدار فتاوى تكفر العبيديين وتحرم التعامل معهم وتقاطع المتعامل معهم ولو كان منهم وهنا نسوق ذلك المثل التي ترويه كتب التراجم عن **أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافري (ت443هـ)** الذي حاول في إحدى فتواه تقسيم الشيعة إلى قسمين ليخفف الحكم على إحداهما في مسألة طلاق ومراجعة أحد أطرافها من الفرقة المعروفة بالمشارقة، "وكان رأي الفقهاء سد هذا الباب للعامة على هؤلاء الكفرة بني عبيد الزنادقة وإن الداخل في دعوتهم وإن لم يقل بقولهم كافر لتوليه الكفر"[2]، فاحتج عليه جميع الفقهاء وحكم عليه بالعودة عن حكمه والإقرار بالتوبة على المنبر أمام الناس، فقد كان إجماع الفقهاء على كفر بنو عبيد وكل من والاهم ومسألة تكفير بني عبيد يؤكدها الرعيني فيقول: "وأجمع علماء القيروان أن بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة"[3].

كما قام الفقهاء "برفض الصلاة على جنائزهم وعدم السلام عليهم وعدم مناكحتهم فقد سئل **أبو إسحاق الجبنياني (ت399هـ)** عن إمكانية السلام على المتشيعين ومخالطتهم؟ فقال: لا توادهم ولا تسلم عليهم ولا تناكحهم فإن من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد أزرى باثني عشر ألف صحابي..."[4].

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 260.

[2]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 178.

[3]- أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تص، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص ص 21،22 .

[4]- الهنتاتي، المرجع السابق، ص 167 .

من خلال هذه الحملة التي قادها المالكية حاول الدعاة الإسماعيلية تخفيف الحدة فتوجهوا للإقناع السلمي فعقدوا مجالس للمناظرة[1] معتمدين في مقالاتهم على الحكمة الفلسفية التي مزجوها بطريقتهم الباطنية وعباراتهم الحكيمة التي لم توجد من قبل ببلاد المغرب ولا عرفها فقهاء المالكية"[2]، "ولظنٍ منهم أن علماء إفريقية قاصرون عن الدفاع عن اتجاههم السني،"[3] فصحبتهم والمالكيين عدة مجالس للمناظرة.

فمن الفقهاء المناظرين نذكر الفقيه **سعيد بن الحداد (ت302هـ)** الذي كانت له "مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذب عن السنة ناظر[4] فيها أبا العباس المخدوم أخا عبد الله الشيعي الصنعاني بملئ فمه، لم يتلعثم لفظاعة المقام ولا أحجم لهيبة السلطان ولا يخاف ما خيف عليه من سطوة الحدثان"[5] وناظر أبو عبد الله الشيعي أيضا وعبيد الله المهدي ومحمد بن عمر المرودي وكان في كل مرة يقيم عليهم الحجة في عدة مسائل دارت حولها هذه المجالس كمسألة التفضيل بين علي بن أبي طالب و أبي بكر الصديق، وبين عائشة وفاطمة رضي الله عنهم ومسائل أخر كحديث غدير[6] خم .ومن

---

[1]– المناظرة أو الجدل: هو تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه. ينظر: أبو الوليد الباجي، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2001، ط3، ص11.

[2]– نوار نسيم، **النزاع السني الشيعي وأثره في تجديد المذهب المالكي**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر2 بوزريعة ، الجزائر، 2010م، ص168 .

[3]– الهنتاتي، المرجع السابق، ص158 .

[4]– ينظر لاحقا: الملحق الأول (نص لمناظرة **سعيد بن الحداد لعبيد الله المهدي**) .

[5]– الخشني، المصدر السابق، ص 62 .

[6]– حديث غدير خم: هو الحديث الدال على أنه عليه الصلاة والسلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب الجحفة –يقال له غدير خم– فبين فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقا وبخلا، والصواب كان معه، ولهذا لما تفرغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك، فبين فيهاأشياء وذكر فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه، ....قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه" . ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، المصدر السابق، ج5، ص ص208،209 .

المناظرين أيضا **ابن التبان (371هـ)** الذي كان متضلعا في العلوم القرآنية والفقه وأصول التوحيد، وقد سخر مواهبه الخطابية للذب عن المذهب المالكي"[1]، ضد بني عبيد الذين كان يكن لهم بغضا شديداً، فكانت له أيضا مناظرات[2] عدة مع بنو عبيد منها ما كان مع عبد الله المعروف بالمختال –صاحب القيروان– حول مسائل عدة كفضائل أهل البيت، ومسألة التفضيل فأقام الحجة عليه وعلى الدعاة الذي كانوا معه، فما استطاعوا له سبيلا، حتى أنه طلب منه الدخول في شيعتهم فكان رده على المختال: "شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنتين وسبعين فرقة يقال له هذا؟ لو نشرتني في اثنين ما فارقت مذهب مالك."[3]

هكذا فقد عمد المالكية إلى استعمال كل السبل الممكنة لحصر المذهب الشيعي ومنعه من التفشي بين المجتمع، وإبقائه على تلك الفئة القليل التي قبلت التشريق والدخول في المذهب الشيعي وتبنيه، فكانت أساليبهم الأولى سلمية تارة، وتارة كان على المالكية حمل السلاح في وجه هؤلاء المارقة الذين استباحوا فيهم التقتيل والتنكيل وتفننوا في ذلك، وهو ما سيتم التفصيل فيه العناصر القادمة.

3/2– سياسة العبيديين القمعية على الفقهاء المالكية:

إن الدارس لتاريخ الدعوة الشيعية في بلاد المغرب الإسلامي إلى غاية نجاحها في تأسيس إحدى أكبر الدول القائمة في المنطقة –الدولة العبيدية– يجد نفسه أمام عدة تساؤلات كلها تتمحور حول طبيعة العلاقة التي كانت بين الفقهاء المالكية الذين كانوا كالشوكة في الحلق بسبب مواقفهم المناهضة لهم ولمذهبهم منذ أول وهلة حتى قبل بسط نفوذ هذه الدولة في المنطقة، فهل كان حكم الفقهاء المالكية على الدعوة الشيعية التي تدعوا لآل البيت حكما

---

[1]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 332.

[2]– ينظر لاحقا: الملحق الثاني **(مناظرة بين ابن التبان وبعض الدعاة العبيديين)** .

[3]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص93 .

مبني للمجهول؟، وهل كان رأيهم مبني على اعتبارات أخرى كتأييد ونصرة لولي الأمر من أمراء بنو الأغلب؟، وهذا ما يجيب عليه عبد العزيز المجدوب حين قال: إِذَا عُلِمَ أن أخبار الشيعة وأعمالهم ومبادئهم قد ترامت إلى أسماعهم من بعيد، من أقاصي المشرق"[1]، إذا فحكم الفقهاء كان مؤسس على معرفة ودراية مسبقة جعلتهم يترقبون وصولهم بحذر شديد محذرين الأمة من أمرهم، ليس هذا فقط بل حتى حين وصول الصنعاني للمنطقة فإنه أحدث المحدثات مغيرا الفرائض والسنن الآنف ذكرها، فلم يكن غاية هؤلاء الدعاة الدعوة لحب آل البيت بل كان ستارا لتمرير دعوتهم بين المسلمين الذين كانت قلوبهم على حب آل بيت النبي ﷺ.

كان المالكية يستطيعون مناصرة هؤلاء الدعاة الذين يدعون لآل البيت والدخول في شيعتهم إلا أن ما وصل عنهم من أخبار وما بدر منهم من أفعال وأقوال نفر القلوب منهم وأجج العداء عليهم، وفي هذا يقول المستشرق هاينتس هالم: "كان السنيون يستطيعون قبول النسب العلوي المزعوم الذي استند إليه الحكام الجدد لتبرير حقهم في الحكم، أكثر من قبولهم للبدع الشيعية في الطقوس الدينية التي أجبرت المسلم الفرد على مخالفة السنة الملزمة بالنسبة له"[2]، والتي "تعارضت تماما وعقائد المذهب السني المالكي جملةً وتفصيلا، لذا فإنهم لم يجدوا بُداً من مواجهتهم ومحاولة ردعهم عن التغيير في ملة الإسلام"[3]، "فقد نشروا من الخرافات والبدع مالا أصل له في كتاب ولا سنة، ولجئوا هم ودعاتهم إلى ضروب من الحبل والدجل لإقناع الناس بهم وبدعوتهم ..، وهي ضروب لا يمكن أن تصدر عن أناس ينتسبون إلى أهل البيت"[4].

---

[1]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 185 .

[2]- هاينتس هالم، المرجع السابق، ص 319 .

[3]- يمينة كبداس، **الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296هـ-361هـ)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016م، ص291 .

[4]- ابن حماد، المصدر السابق، ص 23 .

لقد كان على الفاطميين أن يناضلوا في شمال إفريقيا ضد السنة في صيغتها المالكية بنحو أساسي،[1] فانتهجوا في نشر مذهبهم السبيلين المتناقضين، السبيل السلمي في أول أمرهم والسبيل القمعي بعد استحالة الأمر عليهم لموقف المدنيين منهم وثباتهم على مذهبهم، كما تؤكد الدكتورة بلهواري فاطمة في قولها: "وأسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الخلافة الفاطمية يختلف عنه بعد قيامها حيث ارتكز على الإقناع السلمي"[2].

فكما سبق الذكر عقد العبيديين مجالس للمناظرة مع المالكية فما استطاعوا لهم وما استكانوا لهم، فأيقن حينها بنو عبيد أن المالكية يمثلون عقبة في سبيل إقامة دولهم ونشر مذهبهم والقضاء عليها ضرورة لابد منها، "فكانت لهم جرأة كبيرة على التنكيل بمخالفيهم بأفظع الوسائل، كما أنهم كانوا من أجرأ الناس وبأقبح الأساليب على سب صحابة ﷺ فضلا عن قدرتهم على انتحال البدع التي لا صلة لها بالإسلام، وإلزام الناس بها وكأنها من شرع الله"[3]، فتفنن هؤلاء الغلاة "منذ بداية عهدهم في البلاد المغرب بالإيقاع بعلماء أهل السنة عامة والمالكية خاصة والإمعان في التنكيل بهم وتلفيق التهم لهم"[4]، فتروي لنا كتب التاريخ والسير صور بشعة عن عمليات قتل وتنكيل طالت المالكية في العهد العبيدي، واختلفت الأسباب التي ألبست للفقهاء وباختلافها اختلفت أيضا أساليب القتل والاضطهاد، فما هي هذه الأسباب؟.

– لقد تفنن بنو عبيد في اضطهاد العلماء المالكية الذي كان لهم سيط في المنطقة لا لسبب إلا للقضاء على للقضاء على العقبة التي شكلوها لهم ولبسط نفوذهم بحد السيف في المنطقة، وإرسال رسالة واضحة المعاني لكل من تسول له نفسه أن يطعن فيهم أو يخرج

---

[1]– فرهاد دفتري، المرجع السابق، ص 261 .

[2]– بلهواري فاطمة، **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك، الجزائر، 2011م، (د،ط)، ص 15 .

[3]– ابن حماد، المصدر السابق، ص25 .

[4]– بلهواري، المرجع السابق، ص268 .

عن أمرهم فتعددت الحجج والأسباب التي من أجلها طالت المالكية أبشع صور التعذيب والتقتيل والتنكيل، وهذه الأسباب يمكن حصرا كالآتي:

***رفض التشريق:** تعتبر هذه القضية من أهم القضايا التي أسفكت فيها دماء المالكية وذلك لرفضهم الدخول في مذهبهم مذهب المشارقة والانسلاخ من مذهبهم السني، فبعد أن خلصت لبني عبيد البلاد وظهر أمرهم، عقدوا مجالس عدة دعوا فيها مخالفيهم لأخذ دعوتهم، فتشرق بعضهم من المالكية[1] والمعتزلة والحنفية[2]، ورفض الكثير منهم فعذبوا ونكل بهم، ويقول في ذاك بن الأثير: "وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم لمذهبهم فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى حُبِسَ فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس وهم قليل وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم"[3].

وقد ثبت الكثير العلماء وثبتوا بعضهم البعض مثل ما قام به **ابن التبان** حين خروجه من مناظرة صاحب القيروان يومها، "فمر بجماعة من الناس ممن أُحضِرَ لأخذ الدعوة، فوقف عليهم وقال لهم: تثبتوا ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام، فإن فارقتموه هلكتم"[4]، فكان ثبات المالكيين يستفز الدعاة فما وجدوا لهم سبيلا إلا القتل، كما حصل مع الشيخين **أبو إسحاق بن البرذون(ت299هـ)** وصاحبه **أبو بكر بن هذيل (ت299هـ)** اللذان يقال بأنه لما وصل عبيد الله إلى رقادة جاءوه بهما إليه وكان بجانبه الشيعي وأبو العباس فقيل لهما : " أتشهدان أن هذا رسول الله أشار إلى عبيد الله"، فقالا جميعا بلفظ واحد: والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا إنه

---

[1]– من المالكية الذين تشرقوا: محمد بن حيان، أبو بكر بن القمودي، ابن الصباغ، ابن كحالة، ينظر: الخشني، المصدر السابق، ص78.

[2]– من العراقيين الدين تشرقوا: قاسم بن خلاد الواسطي، إسحاق بن أبي منهال، أبو بكر بن سلمان، زرارة بن أحمد... ينظر: الخشني، المصدر نفسه، ص80 .

[3]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص461 .

[4]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص 255 .

رسول الله فأمر عبيد الله حينئذ بذبحهما جميعا[1]، فسيقا إلى عامل القيروان الحسن بن أبي خنزير وأمر بقتلهما جميعا بعد أن يضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، فغلط وضرب ابن هذيل وقتلهم.[2]

وقد ذعر الناس وضاق الحال عليهم من أمر بني عبيد فلجئوا للفقهاء يستفتونهم الدخول في ملتهم تقية وخوفا من القتل فكان جوابهم بالثبات على الحق والإقبال على الموت بدل الدخول في دعوتهم وهو ما نقله الذهبي عن عياض في ترجمته لأبي **أبو محمد الكستراتي**[3] أنه سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟ فقال: يختار القتل ولا يعذر، ويجب الفِرار، لأن المُقَامَ في مَوضِعٍ يُطلَبُ من أهلِهِ تعطيلُ الشرائعِ، لا يجوز."[4]

آثر الكثير من المالكية الهرب والهجرة نحو بلاد المشرق أو الأندلس وترك البلد خشية فتنة بني عبيد فتذكر لنا كبت التاريخ والسير عدد من الشخصيات التي هاجرت ك **أبو القاسم حماس بن مروان بن السماك(ت304هـ)**[5]، **وابن الصابغ ومحمد بن الحارث بن أسد الخشني(ت361هـ)**، **وأبو جعفر أحمد بن الفتح الملقب بابن الحزاز(ت332هـ)**، **وحكم بن محمد بن هشام القرشي(ت370هـ)**، **وأبا محمد حُبَاشة بن حسن(ت374هـ)**[6] والكثير ممن ذكروا وممن لم يذكروا .

***القدح في العبيديين ونسبهم:** إن قضية النسب الفاطمي الذي ادعاه بنو عبيد قد أثارت "جدال وحوار على مر العصور شارك فيه مؤرخون شيعيون وسنيون، وأدلى

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 49.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 118 .

[3]- في (ترتيب المدارك) الكبراني. ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج7، ص276 .

[4]- الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص 151 .

[5]- ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص229 .

[6]- ينظر: نوار نسيم، المرجع السابق، ص 137 .

المستشرقون أيضا بدلوهم في هذا الموضوع"[1]، فألفت التآليف بين المثبت للنسب من المؤيدين والقادح فيه من المعارضين، وأجمع الناس حينها بكفرهم وببراءة آل البيت منهم، وهو ما يرويه لنا الدباغ نقلا عن صاحب كتاب الزيجة أنه قال: جمع أبو العباس القادر –أحد الخلفاء العباسيين– علماء النسب والعلويين والقرشيين فأجمعوا على أن العبيديين ليسوا من قريش ولا من غيرهم من العرب وإنما هم من ذرية ميمون القداح الأنصاري من يهود سلمية"[2] .

حاول العبيديين إثبات نسبهم وإرغام الناس على الإيمان بذلك وكل طاعن فيهم كان مصيره الموت، فتحدثنا كتب التراجم عن أعمال بشعة تعرض لها المالكية أيام بنو عبيد نذكر منها ما كان مع **أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون (ت307هـ)** الذي ضربه المرورذي أسواطا وقال له: "بلغني عنك أشياء أقل ما يجب فيها سفك دماء، فاشتغل بما يعنيك"[3]، والراجح أن أبو سعيد قد قدح فيهم واشتكاه المشارقة فلم يجد القاضي بدا من إرضائهم، وأيضا **حسين بن مفرج (ت308هـ)** و**أبو عبد الله السدري (ت308هـ)** اللذان ضربا ثم قتلا ثم صلبا لكلام حفظ عنهما في الشيعي.[4] و**محمد بن محمد بن خالد القيسي'المعروف بالطرزي(ت317هـ)** الذي دارت عليه محنة على يد المرورذي بعد أن رفع إليه قدحه فيهم "فضربه في الجامع على رأس الناس، وحبسه مع أهل الجرائم"[5]،ويضيف الدباغ فيقول: وزاد غيره وضربه أيضا هو وابن سلمون القطان والخلافي المحتسب وقوما مرابطين من أهل تونس."[6] ومنهم أيضا **أبو عبد الله محمد بن العباس ين الوليد الذهلي(ت329هـ)** الذي سجن بعد أن ضربه النفطي قاضي الشيعة في جميع القيروان

[1]– علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 58.

[2]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص150.

[3]– الدباغ، المصدر نفسه، ج2، ص348 .

[4]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص131 .

[5]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص105 .

[6]– الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص 11 .

عريانا، وصفع قفاه حتى سال الدم من رأسه، وبرح عليه في الأسواق وأطافه عريانا على حمار، إذ رفع عنه أنه كان يفتي بمذهب مالك.[1]

***مخالفة المذهب الشيعي وسننه:** لقد حاول عبيد الله مذ أن استتب له الحكم في بلاد المغرب الإسلامي إلى دفع الناس لإتباع مذهبه الملفق على الإمام جعفر الصادق[2] وزجر مخالفيه على الإفتاء بغير مذهبهم، ومن تنكر لأوامر المهدي نكل به وقتل، ويقول عياض في هذا الباب: "ومنع عبيد الله في هذا الحين الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك وأمرهم ألا يفتوا إلا بمذهبهم الذي ينسبونه إلى جعفر بن محمد، ويسمونه مذهب أهل البيت[3]، ويضيف أيضا فيقول: "وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحين، ومنعوا من المجلس والفتيا فكان مَن يأخذ عنهم ويتذاكر معهم إنما يكون سراً وعلى حَالِ خوف وريبة "[4].

كان من يضبط عنه الإفتاء بمذهب مالك يلقي من أصناف التعذيب والسجن ما يلقاه كما حصل مع **أبو جعفر أحمد بن نصر ابن زياد الهواري البربري(ت317هـ)** الذي دارت عليه محنة على يد ابن أبي منهال[5] القاضي، فقد "كان أبو جعفر يجمع الناس إليه في مسجد رحبة القرشيين، ويفتي بمذهب مالك فوجه إليه –إلى القاضي– وسجنه بالمهدية وقيده"[6]، مدة تسعة أشهر، و**أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي(ت319هـ)** الذي دارت عليه محنتين مع "عبيد الله الرافضي الذي ضربه بالعصا بطحا"[7]، ومحنة أخرى على يد القاضي

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص337 .

[2]– جعفر بن محمد ابن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ... الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني أحد الأعلام. ولد سنة ثمانين توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص 252 .

[3]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص121.

[4]– القاضي عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص 393 .

[5]– إسحاق بن أبي منهال القاضي، من قضاة العراق وكان رجلا سوء امتحن على يديه جماعة من الصلحاء والمدنيين فضرب بعضهم وحبس بعضهم. ينظر: الدباغ، المصدر الساق، ج3، ص8 .

[6]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص8 .

[7]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 113 .

إسحاق بن أبي منهال سجن فيها عدة أيام بسبب "أنه كتب في كتاب صداق شرطاً، وقد تقدم إلى الناس كافة ألا يُكتب في نكاح شرط بيمين طلاق"[1]، وكذلك **أبو بكر محمد بن محمد ابن اللباد (ت333هـ)** الذي سجنه ابن أبي منهال "أياما ثم أطلق ومنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفي"[2] .

لم يتوقف الخلط الشيعي في مذهب أهل السنة فقط بل طال حتى الفرائض والسنن المتواترة كالأذان والصلاة والصيام..، وما أرادوا بذلك إلا تحطيم أركان الإسلام بتفسيراتهم الباطنية المغالية المبنية على البدع والأهواء والأفكار الفلسفية الأفلاطونية "قائلين: إنه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه"[3]، وعلى هذا الأساس أحدثوا المحدثات في العقائد فنبذوا وقطعوا ما تواتر عليه جموع المسلمين من أهل السنة **كالصلاة التطوعية** التي يقول فيها المستشرق **هاينتس هالم:** "وبعد عام من بداية الحكم الفاطمي منعت أيضا الصلوات الإضافية الطوعية، التي كانت مألوفة عند السنة، وتصلى بالإضافة إلى الصلوات الإلزامية الخمسة كل يوم"[4]، ومن الصلوات المقطوعة صلاة التراويح التي كان الصنعاني أول قاطعيها كما سبق ذكره .

كذلك صلاة القيام لم تسلم من قطع العبيديين، وفيها يقول التجاني عن أبو الحسن القابسي : أنه لما دخل بنو عبيد القيروان أرادوا أن يمنعوا الناس من هذه الصلاة –صلاة القيام–، قال وليس شيء أشد على بني عبيد من هذه الصلاة[5]، فلم يجدوا سبيلا للقضاء

---

[1]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص ص 113،114 .

[2]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص25 .

[3]– إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص 473 .

[4]– هاينتس هالم، **إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين**، تح: محمود كبيبو، دار الوراق، لبنان، 2013م، ط1، ص 319.

[5]– أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، **رحلة التجاني**، تق: حسن جسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م، (د،ط)، ص 266 .

عليها إلا تنفير الناس منها بإثقال كاهلهم عنها فأمروا الأئمة أن يُختم كل ليلة ختمة كاملة فثقلت هذه الصلاة على الناس فتناقص عدد المصلين لها إلى أن خلت المساجد من مصليها، فكان كما خطط له.

وكذلك صلاة الضحى التي يقول **التجاني** فيها: "ولم يكن أحد في مدة بني عبيد يصليها إلا مستخفيا بها فإن ظهروا عليه قتلوه، ومر بعض عمالهم برجل على شاطئ البحر يصلي وقت الضحى فسأله عن صلاته فذكر أنه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم يقبل ذلك منه وأمر به فألقي في البحر إلى أن مات[1].

ولم يسلم الأذان منهم فغيروا فيه[2] وأضافوا ما لا أصل له كما سبق ذكره، "فتأويل الآذان والإقامة في الباطن الدعاء أي دعوة الحق التي مثلها على ما تقدم من القول غي الباطن مثل الصلاة الظاهرة التي يدعى إليها بالآذان فكذلك باطنها التي هي دعوة الحق يدعو إليها الدعاة وهم أمثال المؤذنين في الظاهر"[3]، وقد علق **هالم** على العبارات المضافة في الأذان قائلا: "كانت مكروهة بشكل خاص لأنها كانت الرمز الحاضر في كل مكان للحكم الشيعي"[4]، فالأذان عند الشيعة "مثله مثل الدعاء إلى حجته وهو ولي أمر الأمة من بعده الذي يقيمه لذلك في حياته ويصير مقامه له بعد وفاته"[5]، وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا

---

[1]– التجاني، المصدر السابق، ص 266 .

[2]– نص الأذان أيام بني عبيد: "التكبير والتشهيدين (حي على الصلاة حي على الفلاح) مرتين (حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر) مرتين مرتين (لا إله إلا الله) مرة ثم يقول: أحياك الله يامولانا حافظ نظام الدنيا والدين، جامع شمل الإسلام والمسلمين، وأعز بسلطانك جانب الموحدين، وأباد بسيوفك كافة الملحدين، وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبنائك الأكرمين، صلاة دائمة إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين". ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص ص 50،51 .

[3]– إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص 499 .

[4]– هاينتس هالم، المرجع السابق، ص 319 .

[5]– إحسان الهي ظهير، المرجع نفسه، ص 500 .

أسقطوا هذه اللفظة من الآذان تعمدا أو نسيا"[1] ومنهم **عروس المؤذن(ت307هـ)** الذي كان يؤذن بمسجد أبي عائشة وشهد عليه بعض المشارقة أنه لم يقل في آذانه: (حي على خير العمل) فَقُطِعَ لسانه وقتل بالرماح بعد أن طِيف به القيروان ولسانه بين عينيه"[2]، ومنهم أيضا **أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي الدباغ(ت345هـ)** الذي كان لا يؤذن الأذان إلا على سنته فلا يضيف (حي على خير العمل) فأنجاه الله من مكر بني عبيد بعد وضع له رجل "أسود ناصب حربته بين كتفيه إن لم يقلها طعنه بها فعافاه الله"[3].

حتى صوم رمضان لم يسلم من بدعهم وخرافات فكان يفطر بأمر من الحاكم ويقول عياض في هذا الباب: "إن الشيعة تصوم قبل رمضان بيوم وتفطر قبل الناس بيوم"[4]، ويذكر لنا محنة لأحمد النجار الذي ضرب على يد المرورذي ثلاثمائة درة وحبس، وعلل القاضي فقال: "ثبت عندي أنك صمت يوم الفطر، ولم تفطر بافطار أمير المؤمنين"[5]، ومن القصص المريعة ما حصل للقاضي **أبو عبد الله محمد ابن اسحاق الجبلي(ت341هـ)** قاضي برقة الذي رفض الإعلان بثبوت رؤية الهلال العيد على غير بينة، بعد أن جاءوه بكتاب من الإمام الإسماعيلي إسماعيل يدفعه على ذلك، فأبى إفطار الناس فنُصِبَ له صاريا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب الهذلي وعلق بيده إليه في الشمس فأقام كذلك ضاجيا في شدة الحر يومه وليلته فلما كان بالغد مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد فلما مات أخذوه وصلبوه بباب أبي الربيع[6] .

---

[1]- التجاني، المصدر السابق، ص266 .

[2]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 152 .

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 77 .

[4]_ القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 140 .

[5]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 140 .

[6]- الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص 49 .

***تفضيل الصحابة على علي رضي الله عنه:** إن من بين المبتدعات في تعاليم الشيعة الإسماعيلية تكفير صحابة رسول ﷺ وأزواجه وتلفيق التهم الباطلة والحجج الواهية لهم، ما أرادوا بها إلا تفريق كلمة المسلمين، فحكموا على أصحاب النبي ﷺ بالردة بعد موته إلا علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبى ذر الغفاري[1] فظهرت مسألة التفضيل بين صحابة الرسول ﷺ، كصراع بين الشيعة وجموع المسلمين من علماء السنة قديما وحديثا، والذين رأوا أن للصحابة رضوان الله عليهم فضل على المسلمين ولا فرق بينهم ومكانتهم واحدة، وسندهم في هذا مدحهم من قبل ربهم في كتاب الله العزيز، وثناء رسول الله ﷺ صاحبهم عليهم في الأحاديث .

حاول بنو عبيد نشر هذا المعتقد – تكفير الصحابة– في عامة الناس وحمل الناس على فعل ذلك، فاستعملوا أبشع الأفعال في سب الصحابة فيحكي لنا صاحب المعالم حادثة كانت سنة إحدى وثلاثون وثلاثمائة حيث قام الصبي المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبي ﷺ وعُلقت عظام رؤوس أكباش وحمير وغيرها على أبواب الحوانيت والدروب عليها قراطيس معلقة فيها أسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم."[2] وكان فعل هذا بغرض استفزاز المالكية فمن أبدى موقفا قتل، وتحكي كتب التاريخ والسير عن جرائم طالت المالكية بسبب موقفهم مسألة التفضيل، فينقل لنا **الذهبي** عن **أبي الحسن القابسي:** إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت، فقال سهل الشاعر:

وأحـل دار النـحر فـي أغـلالــه ** من كـان ذا تـقوى وذا صـلـوات"[3]

[1]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 159 .

[2]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 32 .

[3]– إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص 114 .

ومن الأخبار ما حُكي عن **أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهرية(ت309هـ)** الذي قتله عبيد الله المهدي مع **محمد بن عبد الله السدري(ت309هـ)**، وصلبا جميعا، وقيل إنما قتل لأنه نقل عنه تفضيل بعض الصحابة على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا"[1]، ويضيف المالكي فيقول: قتلا جميعا بالرماح صلبا برملة المهدية[2].

– فعلا قد صدق **جبلة بن حمود** يوم زجر الناس عن الخروج لتهنئة الشيعي، فبعد أن قال له أحدهم: إنهم خرجوا مداراة، قال له: "أسكت أرأيت لو نزل الروم بنا فقالوا: إنما تنزلون على حكمنا أو نجاهدكم، هل كان يجوز أن ننزل على حكمهم؟ وإن عشت سترى من أحكام هؤلاء ما هو شر من أحكام الشرك"[3]، فكان ما قاله رحمه الله ولقي الناس أياما عسيرة فقتل من قتل وعذب من عذب وسجن من سجن لسبب كان أو لغير سبب نكاية في أهل السنة مثل ما كان مع **أبو جعفر محمد بن خيرون(ت301هـ)** الذي أدخل على ابن أبي خنزير فلما رآه هم يبكي وقال لمجالسيه : "السلطان –يعني عبيد الله– وجه إليَّ يأمرني أن آمر بدوس هذا الشيخ حتى يموت ، قال ثم أمر به فأدخله إلى المجلس ثم بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزا عليه حتى مات، فلما مات أخذوه وحملوه على بغل وألقوه في حفير"[4].

عانى المالكية من التضييق والمراقبة من طرف رجالات الدولة على رأسهم صاحب المحرس والذي كما يقول هاينتس هالم: كان مكروها إلى أبعد الحدود فكان يتجسس على الجوامع التابعة للمالكيين في المدينة وينبه إلى ضرورة إتباع التعاليم الطقسية ويراقب تطبيقها، ويبلغ حاكم المدينة عن اللقاءات والاجتماعات المشبوهة، ويعتقل الناس الذين

---

[1]– الدباغ، المصدر السابق ، ج2، ص 354 .

[2]– المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 166 .

[3]– القاضي عياض، تراجم، المصدر السابق، ص 283 .

[4]– المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص ص 53،54 .

يشتمون الحاكم"[1] وعمد بني عبيد لاستفزاز الفقهاء من خلال عمالهم وقوادهم ليروا منهم مواقفهم تجاه إمامهم، فيحكى أن مجموعة من العمال لبني عبيد دخلوا مسجدا باتوا فيه بخيولهم فقيل لهم: "كيف تدخلون خيولكم المسجد؟" فقال لهم الشيخ وأصحابه: "إن أرواثها وأبوالها طاهرة، لأنها خيل المهدي"، فقال القّيم بالمسجد: "إن الذي يخرج من المهدي نجس فكيف الذي يخرج من خيله؟"، فقالوا له: "طعنت على المهدي" وأخذوه وذهبوا به إليه فأخرجه عشية جمعة فقتله."[2]

3/3- المالكية وثورة أبي يزيد الخارجي:

***أبي يزيد الخارجي:** هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريمت بن تيفراسن بن سميدار بن يفرن، ويفرن هو أبو الكاهنة[3]، وكان أبوه من أهل قسطيلية من مدائن بلد توزر، وكان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة وبها ولد ولده أبو يزيد ونشأ وتعلم القرآن وخالط النكارية[4] من الخوارج ، فمال إلى مذهبهم وأخذ به[5]، ثم سكن تقيوس ولزم بها مسجدا يعلم الأطفال، فكان يلبس جبة صوف وعلى رأسه قلنسوة صوف وفي عنقه سبحة[6].

***أسباب الثورة وخلفياتها:** وعن سبب ثورته وخروجه عن بني عبيد فالراجح ما ذهب إليه المستشرق هالم الذي صاغها إلى العقيدة الخارجية التي شب عليها أبو يزيد، المبنية

---

[1]- هاينتس هالم، المرجع السابق، ص 321 .

[2]- إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص 113 .

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 216 .

[4]- النكارية : هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري، وسموا بالنكارية لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن، وثاروا ضده، ولقدت تطورت هذه الفرقة التي إنسلخت عن الإباضية الأم. ينظر: عوض الشرقاوي، **التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م، ص79 .

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 52 .

[6]- أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ص55 .

على مبدأ المساواة بين المسلمين فيقول: "...يتبنون صيغة حادة لمبدأ المساواة بين جميع المسلمين وهذا يعني المساواة بين البربر المحكومين والعرب الحاكمين، فكانوا يؤمنون علاوة على ذلك بحق الرفض لا بل والحق بعزل الحكومة المستبد"[1]، وحسب محمود إسماعيل فإن ثورة أبو يزيد كانت في المحل الأول رد فعل للخارجية الإباضية في مواجهة الشيعة الإسماعيلية، فكانت حربا مذهبية شُهر فيها سلاح مبادئ الخارجية للإطاحة بالعقائد الاسماعيلية الغريبة عن البربر"[2]، ويزيد المستشرق ألفرد بل فيقول: لم يزل مذهب الخوارج بزوال الدولة الرستمية في تاهرت سنة 909م، فإن الأنصار المتحمسين لهذه الفرقة لاذوا بأطراف الصحراء وبإقليم الزاب، وكان لزال لها أتباع عديدون في نواحي طرابلس الغرب وجنوبي تونس والجزائر، وكانوا في انتظار زعيم ليحشدوا ويهاجموا البلاد الخاضعة للدولة الفاطمية حين سنحت الفرصة، وجاءهم هذا الزعيم في شخص طالب العلم يدعى أبا يزيد[3] .

كان أبو يزيد يجوب دون كلل وملل القرى البربرية ويدعوا إلى القتال ضد الزنادقة المكروهين[4]، محاولا استنفار أتباع كافة المذاهب والفرق الناقمة على الشيعة الإسماعيلية والاستفادة منهم[5]، فاستطاع بسهولة تحريض أولئك السكان الجبليين المتعودين على حياة التقشف، على نهب مدن إفريقية وبواديها الثرية، وأقنعهم بأنهم مدعوون إلى قتال شرذمة من الكفار، وأنهم سيستحوذون على أملاكهم بصورة شرعية، وسيفوزون بنصيب وافر من الغنائم، أضف إلى ذلك أنهم سيقومون بمهمة عادلة حيث أنها ترمي إلى الإطاحة

---

[1]– هاينتس هالم، المرجع السابق، ص 394 .

[2]– محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري**، دار الثقافة، المغرب، 1985م، ط2، ص 237 .

[3]– ألفرد بل، المرجع السابق، ص 162

[4]– هاينتس هالم، المرجع السابق، ص 395 .

[5]– محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص 238 .

بالمغتصبين العلويين أعداء الدين الإسلامي الحنيف[1]، فصار له جماعة يعظمونه ويسمعون منه وذلك في أيام المهدي، ولم يزل على ذلك إلى أن اشتدت شكيمته وقويت شوكته فنشر الغارات في بلاد البربر[2]، فاشتد أمره بإفريقية حتى فرَّ أمامه أبو القاسم[3] الشيعي إلى المهدية من رقادة[4]، واستولى على إفريقية كلها إلا المهدية[5] .

***موقف المالكية من الثورة:** تعد ثورة أبي يزيد الخارجي (332-336هـ) أفضل تعبير عن السخط الذي كان يجش في صدور أهل إفريقية بسبب السياسات العبيدية الرامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي على المجتمع المغاربي، فكانت الفرصة سانحة لعلماء المالكية بالقيروان للدخول في مرحلة المقاومة العملية للفاطميين، والذين آلت راية الحكم إلى القائم إذ أنهم انظموا إليها وساندوه بالمال والعتاد والجند"[6]، بعد أن أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه[7]، فيذكر القاضي عبد الجبار المتكلم، أن القائم أظهر سب الأنبياء، وكان مناديه يصيح: العنوا الغار وما حوى[8]، فمن تكلم عُذِبَ وقُتِل واشتد الأمر على المسلمين [9]، وأبيد عدة من العلماء[10] .

---

[1]- الدشراوي، المرجع السابق، ص 249 .

[2]- الرعيني، المصدر السابق، ص55 .

[3]- أبو القاسم: صاحب المغرب، أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله، مولده بسلمية في سنة ثمان وسبعين ومئتين، بويع عند موت أبيه في سنة اثنين وعشرين وثلاث مائة، كان مهيبا شجاعا، قليل الخير فاسد العقيدة، توفي سنة 334هـ. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص 152 .

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 216 .

[5]- ابن حماد، المصدر السابق، ص 56 .

[6]- الهنتاتي، المرجع السابق، ص 168 .

[7]- الذهبي، المصدر نفسه، ج15، ص154 .

[8]- ويضيف القاضي عياض (إلعنوا الغار وما حوى والكساء وما حوى) ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 303 .

[9]- ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ص 217 .

[10]- الذهبي، المصدر نفسه، ج15، ص 152 .

وقد كان المالكية على أحر من الجمر للخروج على بني عبيد الذين إستباحوا فيهم التقتيل ليرفعوا السلاح في وجوههم نصرة لدين الله وطلبا للشهادة، فانتظروا أي ثائر ليعاضدوه ويستنصروه، وهو ماكان مع ابن كيداد الذي وبالرغم من أنه لم يكن على مذهب المدنيين وينتمي إلى مذهب خارج عن السنة، إلا أن فقهاء القيروان لم يجدوا أية غضاضة على المستوى المذهبي لتبرير مساندة المتمرد، ولو كان خارجيا وملعونا، بما أنه قد أشهر الحرب على نظام لا يقل عنه مروقاً ولا منكراً[1]، فخاطب أبو يزيد أهل القيروان لما دخلها وقال لأهلها: لم لا تجاهدوا بني عبيد ها أنا رجل أعرج وصاحبي أبو عمار أعمى وقد عذره الله سبحانه ورفعنه حرج القتال والجهاد فلم نعز أنفسنا[2]، وكان هذا الخطاب بليغ أثر في نفوس الفقهاء وحفزهم ليشاركوا في حربه ضد العبيديين .

***دور المالكية وإسهاماتهم في الثورة:** لقد بلغ أبو يزيد قمة النصر بالاستيلاء على القيروان، إذ انظم أهلها من المالكية إليه وكونوا جيشا قويا انضوى تحت لوائه[3]، فتسارع جميع الفقهاء والعباد، ووجوه التجار إلى المصلى بالسلاح الشاكي والعدة العجيبة التي لم يُر مثلها، وضاق بهم الفضاء وتواعد الناس أن ينظروا في الزاد وآلة السفر، وركب بعض الشيوخ من الموضع إلى الجامع بالسلاح، وشقوا سماط القيروان، وزادوا في استنهاض الناس"[4]، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا في الجامع وركبوا بالسلاح الكامل وعملوا البنود والطبول وأتوا بالبنود فركزوها قبالة المسجد المعروف بالحدادين وكانت سبعة بنود[5]وهي:

---

[1]– الدشراوي، المرجع السابق، ص 257 .

[2]– ابن حماد، المصدر السابق، ص 55 .

[3]– محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 245 .

[4]– المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 341 .

[5]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص ص 32،33 .

-البند الأول: أصفر لربيع القطان[1] مكتوب عليه البسملة ومعها لا إله إلا الله محمد رسول الله

-البند الثاني: هو لربيع أصفر أيضا نصر من الله وفح قريب على يد أبي يزيد اللهم أنصره على من سب نبيك.

-البند الثالث: وهو أصفر أيضا لأبي الربيع بعد البسملة {فَقَتِلُوا أَيمَّةَ الكُفرِ إنَهُم لَآ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}[2] .

-البند الرابع: وهو بند أحمر لأبي الفضل الممسي[3] لا إله إلا الله محمد رسول الله .

-البند الخامس: وهو بند أخضر لمروان العابد بعد البسملة {قَتلُوهُمْ يُعَذّبْهُمُ الله بأَيْديكُمْ وَيُخْزِهُمْ وَينصرْكُمْ عَلَيهمْ وَيَشْف صُدُورَ قَوْمٍ مُّومنينَ}[4].

-البند السادس: وهو بند أبيض بعد البسملة لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر عمر الفاروق.

-البند السابع: وهو لإبراهيم بن الحبشا كان أكبر البنود لونه أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله {الاَّ تَنصُرُوه فَقَدْ نَصَرَهُ الله إذَ اَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا في الغَار إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَاَ تَحْزَنِ اِنَّ الله مَعَنَا}[5]، فلما اجتمع الناس، وحضر الإمام وطلع على المنبر، خطب خطبة أبلغ فيها وحرَّض الناس على جهاد الشيعة، وأعلمهم بما لهم من فيه من الثواب، ثم

---

[1]- ربيع القطان: هو أبو سليمان، ربيع بن سليمان بن عطاء الله، ينتسبون إلى قبيلة قريش، كان من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين، كان عالما بالقرآن وقرائته وتفسير معانيه، حافظا للحديث، كان لسان إفريقية في وقته، توفي سنة ثلاث وثلاث مائة. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص 310 .

[2]- سورة التوبة: الآية: 12 .

[3]- لأبي الفضل الممسي: هو العباس بن عيسى بن محمد بن عيسى بن العباس وممس قرية هناك، كان فقيها سمع من موسى القطان وجبلة بن حمود، واحمد بن أبي سليمان، توفي سنة ثلاث وثلاث مائة. ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 297 .

[4]- سورة التوبة، الآية: 14 .

[5]- سورة التوبة، الآية: 40 .

لعن عُبيد الله الشيعي وإبنه، ثم نزل فخرج وخرج الناس معه لقتال الشيعة الفجار[1]، وأظهر أهل القيروان استبسالا وتفانيا في القتال، وحققوا انتصارا باهرا وكادوا يحتلون المهدية لكن حانت ساعة الغدر والخيانة فانهزموا شر هزيمة، وذلك أن أبا يزيد عمد إلى الغدر"[2] .

***مكر أبي يزيد بالمالكية:** تأتي رياح الخديعة بما لا تشتهي سفن المالكية فتسقط أمانيهم في الذود عن دين الله ونصرة الحق أمام مكر النكاري الذي سحب البساط عليهم في عز رحى الحرب منسحبا وجنده تاركا إياهم للجيش العبيدي، وفي هذه الخديعة يقول صاحب المدارك: "خرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم، فرزقوا الظفر بهم، وحصروهم بمدينة المهدية، فلما رأى أبو يزيد ذلك، ولم يشك في غلبته أظهر ما أكنه من الخارجية فقال لأصحابه: "إذا التقيتم مع القوم، فانكشفوا عن علماء القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم منهم[3]، ويضيف المراكشي معللا سر هذه الخديعة قائلا: أراد أن يتبرأ من قتلهم أمام الناس، وأراد الراحة منهم لأنه فيما ظن أنه إذا قتل شيوخ القيروان وأئمة الدين، تمكن من أَتْباعهم، فيدعوهم إلى ما شاء فيتبعونه"[4]، ففعل جنده ذلك، فقتل منهم من أراد الله سعادته ورزقه الشهادة .

وكان أبو الفضل الممسي(ت333هـ) من الذين قتلوا حيث سقط من على دابته لما وقعت الهزيمة فدرسته البهائم حتى مات[5]، وربيع القطان (ت333هـ) الذي قتل كذلك، وقطع رأسه وأتي به إلى أبي القاسم بن عبيد الله في طست فلما كشف عنه فتح الرأس عينيه ولسانه فقال أبو القاسم بعدوه عني[6]، وعدة من أهل العلم في خمسة وثمانين رجلا من الفقهاء

---

[1]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ص 217 .

[2]– عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 200 .

[3]– القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص306 .

[4]– ابن عذارى المراكشي ، المصدر نفسه، ص218 .

[5]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 29 .

[6]– الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص 34 .

والصالحين وذلك في رجب، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[1]، فلما مكر أبو يزيد مكر الله به وخذله مثلما خذل أوليائه، فهزمه المنصور[2] هزيمة منكرة[3]، وبعد أن فارقه الناس لما ظهر منه من نكران وفسوق واستباحة ولباس حرير فانقلب الناس كلهم عليه وانكسرت شوكته وظهر إسماعيل فطلبه وفر أبو يزيد أمامه إلى أن ظفر به إسماعيل فقتله"[4]، وأمر بسلخه وحشى جلده قطنا وصلبه[5] .

3/4-نتائج الصراع المالكي الشيعي على المستويين السياسي والفكري:

على الرغم من نجاح الدعوة الشيعية سياسيا، وذلك بتأسيس الدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي إلا أنها وفي شقها المذهبي لم تنجح في فرض مذهبها الإسماعيلي ونشره في أواسط المجتمع المغربي، وهذا راجع للمقاومة الشرسة التي حمل لوائها علماء السنة المالكية، فكانت لسياسة العبيديين الردعية القمعية المنتهجة في حقهم آثار جسيمة كانت تبعاتها في صالح المالكية، فما هي معالم انتصار المالكية في حربهم ضد بني عبيد الإسماعيليين؟ وما هي نتائج الصراع على الصعيدين السياسي والفكري؟.

أ-على الصعيد السياسي: يمكن إحصاء العلامات التي تنم عن انتصار وتفوق المذهب المالكي في عدة أحداث سياسية شهدتها بلاد المغرب الإسلامي وهي:

*** تغير العلاقة العبيدية مع العلماء المالكية بعد ثورة أبو يزيد:** على الرغم من فشل ثورة أبو يزيد الخارجي سنة 336هـ، والتي كانت قاب قوسين أو أدنى من إنهاء الوجود

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص306 .

[2]- المنصور: أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي، العبيدي الباطني، صاحب المغرب، ولي بعد أبيه ، كان بطلا شجاعا وفيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق، توفي سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص 156 .

[3]- عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 201 .

[4]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص 307 .

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 220 .

العبيدي بالمنطقة، وبعد انتفاضة العبيديين ومساهمة عدة ظروف، آلت لهم راية الانتصار وقضوا على حركة الخارجي، بعدها مباشرة نهض المنصور إلى القيروان فدخلها في هذه السنة، فقتل من أهلها خلقا وعذب آخرين[1]، إلا أن هذه الثورة وما تلاها من أحداث قد خلفت آثار بعيدة الغور في تاريخ العلاقة بين العبيديين والعلماء المالكية، فقد نبهت هذه الثورة الخلفاء الفاطميين إلى ضرورة تغيير سياستهم في حكم بلاد المغرب تغييرا تاما، فشعروا بخطورة النتائج المترتبة على سياسة التعصب المذهبي[2]، فكانت البادرة من المنصور الذي أجبر أبو عبد الله محمد بن أبي المنصور (ت337هـ)[3] على القضاء، فاشترط الأخير عليه أن لا يأخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم ولا يركب إليهم مهنيا ولا معزيا[4]، ويعلق صاحب المدارك في مسألة تولية ابن أبي المنصور القضاء قائلا: أرادت الشيعة بتوليته تسكين نفوس أهل السنة والناس، إذ كان منهم بعد فتنة أبي يزيد[5] .

هكذا فالناظر إلى هذه الخطوة يتبين له مدى تأثير خرجة المالكية مع أبو يزيد في رسم علاقة جديدة مع العبيديين، حاول خلالها الخلفاء العبيديين ملاينة العلماء المالكية، واستمرت هذه السياسة إلى ما بعد وفاة المنصور وولاية ابنه المعز[6] ، الذي سلك سياسة التودد والتقرب

---

[1]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 220 .

[2]– محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 252 .

[3]– وفي المدارك بن أبي المنظور. وهوأبو عبد الله محمد بن أبي المنظور عبد الله بن حسان، وأصله من الأندلس، أوطن القيروان وكانت له في البلد جلالة السن والعلم والصيانة، توفي سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص329 .

[4]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 45 .

[5]– القاضي عياض، المصدر نفسه، ج5، ص329 .

[6]– المعز: هو المعز لدين الله، أبو تميم معد بن منصور إسماعيل بن القائم، العبيدي المهدوي المغربي الذي بنيت القاهرة المعزية له، كان صاحب إفريقية، وكان ولي عهد أبيه، ولي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة، توفي سنة خمس وستين وثلاث مائة بالقاهرة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص 159 .

لأهل السنة عامة والمالكية خاصة، صرف أمور الدعوة في أول عهده تصريفا لينا لحرصه الشديد على عدم إثارة حفيظة أهل السنة لعامتهم[1] .

***رحيل العبيديين إلى مصر:** ظل المذهب الشيعي الرسمي متغلبا على مذهب السنة ما بقي العبيديون في إفريقية، ولكن بعد رحيل المعز الفاطمي إلى المشرق وفي رفقته جزء مهم من قبيلة كتامة، فقد هذا المذهب دعامته بل وأسباب وجوده ونعني به عصبية القبيلة ونفوذ الدولة[2]، وكان المعز قد استناب على المغرب بلكين[3] الصنهاجي، وسار بخزائنه وتوابيت آبائه وكان دخوله إلى الإسكندرية في شعبان سنة اثنين وستين وثلاث مئة[4] .

إن المتتبع لتاريخ الخلفاء العبيديين أعمالهم السياسية يتضح له جليا أن بلاد المغرب الإسلامي لم تكن هدفهم الأول بل كانت محطة لا غير، وكانت بلاد المشرق وبالأخص مصر هي الهدف وحلمهم الأكبر، فحملتي عبيد الله المهدي بقيادة ابنه على مصر خير دليل على ذلك، إلا أن ثورة أبو يزيد أخلطت أوراق بني عبيد وأوقفت محاولاتهم في غزو مصر، لكن وبتولي المعز لدين الله سيبعث مشروع الدولة العبيدية الرئيسي من جديد[5]، لكن هل فعلا كان لصمود المالكية أثر في رحيل العبيديين؟، سؤال يجيب عنه نجم الدين الهنتاتي حين دافع عن هذا الرأي مستدلا بتأكيد العديد من الباحثين على ذلك كحسين مؤنس الذي جعل من المقاومة السنية " السبب الحقيقي العميق في تفكير العبيديين في الإنتقال ن

---

[1]– فاطمة بلهواري، **تحديات وصمود علماء المالكية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري/10م –أحداث وحيثيات**، جامعة وهران، الجزائر، ص 11 .

[2]– بن زاوي طارق، **إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406–454هـ/ 1016–1062م)**، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008–2009م، ص 119 .

[3]– بلكين: بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى يوسف: مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس، كان في بدئ أمره من قواد المعز، وهو الذي أنشأ مدن الجزائر ومليلة والجزائر، ولما قتل أبوه سنة 360هـ، نهض من أشير إلى زناتة وأخضعهم وثأر لأبيه ، وعند انقال المعز إلى مصر سنة 361هـ استخلفه على إفريقية والمغرب. ينظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980م، ط2، ص 45 .

[4]– الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص162 .

[5]– بن زاوي طارق، المرجع نفسه، ص 53 .

إفريقية"[1]، واستبشر العلماء أتباع مذهب مالك خيرا بعد رحيل العبيديين إلى مصر[2]، فتحدوا بنو زيري من أول يوم، واستضعفوا المشارقة من أهل إفريقية من يوم ارتحل عنهم ممثلوهم الحقيقيون، ذلك أنهم فرضوا ما أبطل الفاطميون من سنن ... فما طال الزمان حتى تمكنوا من إعادة كل أمر إلى نصابه بل حققوا حتى ما كافحوا من أجله الأغالبة من تطهير لمعتقدات الناس من كل ألوان الشبهات والبدع[3] .

***قتل الشيعة في إفريقية:** صحيح أن العبيديين رحلوا لكن أشياعهم ومن كانوا على ملتهم لم يرحلوا فقد آثر الكثير البقاء، إلا أنهم وبحكم تبعيتهم لحكام البلاد والحصانة، فقد كانوا عرضة للتقتيل من أي حركة معارضة لا لشيء إلا لإضعاف موقف العبيديين، وكسب تأييد المالكية العدو الأول لهم، وأول أعمال القتل كانت سنة 405هـ ، لما شق حماد[4] عصا الطاعة في وجه باديس، وأعلن عن الدخول في طاعة العباسيين، وأمر بقتل الرافضة أي الشيعة، وأعاد المذهب السني إلى مملكته، وحث أهل السنة على إبادة المشارقة والرافضة[5] ليتواصل التقتيل في الشيعة أيضا سنة 406هـ و 407هـ لكن هذه المرة المحرض هم شيوخ السنة، كماحدث في سنة 406هـ وبالضبط في تونس حين حرض محرز بن خلف[6] وشجع الثائرين وأصدر حكم الإعدام على الشيعة[7]، وذلك لمقته الشديد لهم، وفي السنة الموالية

---

[1]– الهنتاتي، المرجع السابق، ص 170 .

[2]– بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003م، ط1، ص 166 .

[3]– عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 223 .

[4]– حماد: حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية بقلعة بني حماد وما اليها بالمغرب الأوسط، بدأ حياته السياسية سنة 387هـ حين ولاه باديس بن المنصور أعمال الجزائر الشرقية وأقطعه مدينة أشير ونواحيها. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 122 .

[5]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 154 ,

[6]– محرزبن خلف: هو أبو محمد محرز بن خلف بن أبي رزين (التونسي) المعروف بالعابد، خاتمة صلحاء علماء إفريقية. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 262 .

[7]– الهادي روجي إدريس، المرجع نفسه، ج1، ص 155 .

والتي تزامنت واعتلاء المعز بن باديس الحكم وعن سبب التقتيل فتذكر المصادر أن ابتداء أمر هذه الوقائع مرتبط بجولة قام بها المعز في القيروان ذكر خلالهما الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بخير، فكأنها إيذانا منه بالإنعتاق من المذهب الشيعي الإسماعيلي وإعلانا للحرب على أتباعه في بلاد المغرب كلها[1]، وقد كان لقول المعز هذا أثر في نفوس الناس الحانقة من الشيعية، فانصرفت العامة من فورها إلى الناحية المعروفة بدرب المقلى فقتلوا منهم جماعة ووقع القتل فيهم[2]، ويضيف صاحب المعالم قائلا: "ووضع السيف في الشيعة، فقتل منهم ماينيف على الثلاثة آلاف، فسمي ذلك الموضع بركة الدم"[3]، وقتلت العامة الرافضة بالقيروان أقبح قتل وحرقوهم وانتهبوا أموالهم وهدموا ديارهمو وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجروهم بالأرجل[4] .

وتفاقم الأمر وانتهى إلى البلدان، فقتل منهم خلق كثير، وقتل من لم يعرف مذهبه بالشبهة لهم، ولجأ من بقي بالمهدية منهم إلى المسجد الجامع، فقتلوا به عن آخرهم رجالا ونساءً[5]، ولم يتوقف التقتيل في الشيعة فتكررت الأحداث سنتي 409هـ و423هـ، وهذا ما عجل بالقضاء على التواجد الشيعي في الأراضي الأراضي الخاضعة للزيريين في إفريقية والمغرب الأوسط، ولكن هذا لايعني بالضرورة عدموجود طائفة شيعية تمسكت بتشيعها متبعة أسلوب التقية[6] .

***إعلان القطيعة مع العبيديين:** لعل أبرز انتصار عرفه المالكية ببلاد المغرب الإسلامي هي القطيعة التي أعلنها المعز بن باديس الزيري عن الخلافة العبيدية في مصر

---

[1]– بن زاوي طارق، المرجع السابق، ص 123 .

[2]– بن زاوي طارق، المرجع نفسه، ص 124 .

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ص 274 .

[4]– الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 153 ،

[5]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 268 .

[6]– بن زاوي طارق، المرجع نفسه، ص 131 .

والدعوة للخلافة العباسية، وقد كانت بوادر القطيعة منذ عهد آبائه والتي يعددها المؤرخون كحجج لذلك، كالعلاقة الودية التي كانت بين الملوك الزيريين والعلماء المالكية، وليس هنا مهم البحث في التفاصيل، بل الأهم الخطوة التي قام بها المعز والتي أنهت الوجود الشيعي نهائيا بالمنطقة، ويقول في ذلك المراكشي ولم يزل المعز يعمل فكره في قطع الدعوة لهمإلى أن كانت سنة 440هـ[1] "[2]، نبذ المعز بن باديس الدعاء للخليفة العبيدي، وبايع العباسي أبا جعفر القائم بأمر الله، وأجبر سكان إفريقية على إتباع المذهب المالكي[3] .

لكن السؤال المطروح هنا، ماهو الدافع الذي جعل المعز بن باديس يعلن القطيعة مع العبيديين؟، هذا السؤال إختلف الروايات حول إجابته منها التي ساقها المراكشي، والتي مفادها أن المعز بن باديس تربى في جحر وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال الذي أدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك[4]، والملاحظ هنا أن المالكية استطاعوا التوغل إلى القصر الزيري بل وتقلدوا مناصب هامة في الدولة إزاء سياسة الحكام الزيريين التي اتسمت باللين وبتقريب العلماء المالكية منهم .

***الجاني الفكري:** إن الصراع الشيعي المالكي لم يكن ذا تأثير على الجانب السياسي فقط بل كان للجانب الفكري نصيب من ذلك أيضا، انتعشت من خلاله حركات المناظرة والتأليف والتي كانت إحدى الوسائل للدفاع وإحدى أوجه الصراع وهي كالتالي:

---

[1]– اختلفت المصادر التاريخية في تحديد سنة إبطال المعزبن باديس الدعاء للفاطميين وبيعته للخليفة العباسي في بغداد، فذكر ابن خلدون ان ذلكفي سنة 437هـ، وذكربن الأثير بيعة المعز للعباسيين في حوادث سنة 435هـ ثم ذكر في مكان آخر البيعة تمت سنة 440هـ، ينظر: الحبيب الجنحاني، **القيروان التأسيس والإزدهار**، (د،د)، تونس، 2009م، (د،ط)، ص 53 .

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ص 274 .

[3]– الجنحاني، المرجع السابق، ص 53 .

[4]– ابن عذارى، المصدر السابق ، ص ص 273،274 .

-**المناظرات:** كما سبق الذكر فالعبيديين قد ضربوا الرقابة على العلماء المالكية وضيقوا الخناق عليهم فكانوا يتذاكرون سراً، وبالنقيض من ذلك فقد شجعوا على تعاطي مختلف أنواع العلوم مثل الفلسفة والتأويل إلى جانب الجدل والشعر، وهو أمر سمح بتوفير فرصة لعلماء إفريقية كي يخرجوا من مجالات الفقه العقيمة والضيقة، فمكنوا المدرسة الكلامية السنية بإفريقية من التألق[1]، ودخول مجال المناظرة ضد العقائد الفلسفة المغالية، وتجلى ذلك على يد سعيد بن الحداد الذي كان مؤسسها والذي تولى بنفسه حمل لواء المناظرات ضد الدعاة الشيعة، وفي فضل المناظرات في تثبيت المذهب السني المالكي ودحض الشيعة الإسماعيلية وأفكارهم يقول روجي إدريس: "من المؤكد أن الدعاية الشيعية لم تستطع التأثير في الجماهير الشعبية المتمسكة بالمذهب المالكي، بل إنها بالعكس من ذلك قد زادت في إشعاع ذلك المذهب بواسطة المجادلات الدينية، وفي ترسيخ عقيدة المالكيين، بسبب ما تعرضوا له من ألوان القمع"[2]، فتمكنوا تدريجيا من تشكيل وتكوين قاعدة اجتماعية متينة لمذهبهم .

-**التأليف:** لقد كان للصراع الذي نشب بين الشيعة وعلماء المالكية بسبب أفكارهم ومسائلهم المستحدثة المغالية ذا أثر بليغ، فقد ألقى بظلاله على حركة التأليف، فبرز العديد من العلماء الذين ألفوا كتب في الرد على الأفكار الإسماعلية كنوع من أنواع المقاومة، ففي مسألة الإمامة وضع أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بالقلانسي (ت359هـ) كتابا في "**الإمامة والرد على الرافضة**"، وفي مسألة العصمة وضع أبوبكر بن اللباد كتاب "**إثبات الحجة في إثبات العصمة**"، أما في مسألة منع الشيعة لصلاة التراويح، ألف ابن أبي زيد القيرواني كتابا في "**فضل قيام رمضان**" وكتاب آخر "تفسير أوقات الصلوات" ذلك للخلط الذي وضعه بنو عبيد في أوقات الصلوات، كما ألف ابن التبان كتاب "**فضائل أهلال البيت**" ليحاج به العبيديين في مناظراتهن ولم يقتصر التأليف على المالكية فقط بل حتى الدعاة

[1]- الهنتاتي، المرجع السابق، ص 157 .

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 41.

الشيعة كان لهم صوة في هذا المجال، فقد وضع بعض الأئمة والدعاة الشيعة أيضا مؤلفات تبين مبادئ مذهبهم واحكامه، ومن أشهرهم في هذا المجال القاضي النعمان الذي وضع عدة مصنفات، ومنها "**الهمة في آداب إتباع الأئمة**" وكتاب " د**عائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام**"[1]، والعديد من المصنفات التي كانت المرجعية الأولى لأنصار الفرقة الشيعية .

[1]– حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص141 .

خاتمـــــة

***خاتمـــة**

وفي خاتمة هذا المذكرة التي خصصناها لدراسة محن علماء المالكية في عهد الدولتين الأغلبية والعبيدية، خلصنا إلى عدة استنتاجات نذكر منها:

-لقد كان لارتباط بلاد المغرب الإسلامي بالمشرق والتواصل الثقافي الذي نجم عن ذلك، أثر كبير في زعزعة استقرار المنطقة في شتى الميادين لما حُمِل إليها من شرور الفكر المتولدة هناك كالمعتزلة والخوارج والشيعة، والذين وجدوا في المغرب ظالتهم، فتناحروا فيما بينهم بغية تأسيس دول كتتويج لنجاح مذهبهم، وكما كان لهذا الصراع أثر ايجابي من حيث تأسيسهم لدويلات (كالدولة المدرارية والرستمية والعبيدية)، كان هذا الصراع عاملا مهما في انهيار دويلاتهم كذلك .

-كما للتواصل الثقافي أثر سلبي على بلاد المغرب الإسلامي كان له أيضا أثر إيجابي وذلك بدخول مذهب اتفق على صاحبه أهل العلم أنه من قال فيه رسول الله ﷺ: {يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة}، فصاحبه الإمام مالك بن أنس عالم المدينة الذي ترعرع فيها ونهل عظماء علمائها كنافع الديلمي وبن شهاب الزهري وربيعة الرأي، فتسيد الفقه والحديث في عصر وأضحى لا يفتى ومالك بالمدينة، ضرب أكباد الإبل إليه من كل حدب وصوب، وتعلق به علماء بلاد المغرب ونقلوا مذهبه القائم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومصادر أخرى كعملي أهل المدينة والصحابي وغير ذلك من أصول قوية لا تحمل الزيغ ومبتدعات الدهر.

-لقد تداخلت عدة عوامل في انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي كان ابرزها وأهمها علماء بلاد المغرب الإسلامي الذين تعددوا وتعددت أدوارهم متواترين هذا المذهب وتعاليمه فمنهم من تكفل بجلبه إلى المنطقة عن طريق الارتحال إلى المدينة المنورة والنهل عن صاحب المذهب شخصيا كعبد الله بن فروخ وعلي بن زياد التونسي والبهلول بن راشد وأبي علي شقران القيرواني وعبد الله بن غانم، ومنهم من تواتر المذهب وحمل لوائه في

سبيل نشره وفرضه في بيئة تعج بالذاهب فنالهم من وراء ذلك أيام عسر كالسعيد بن سحنون وجبلة بن حمود وبن التبان ورجال كثر مقالهم واحد وموقفهم ثابت .

-إن السبب الحقيقي لنشأة الصراع في الدولة الأغلبية كان نتيجة الخلاف بين الأحناف والمالكية في بلاد المشرق، صراع لم يستقر هناك بل انتقل أيضا لبلاد المغرب الإسلامي فكان له أثر بليغ في المنطقة .

-لعبت سياسة أمراء الدولة الأغلبية المنتهجة في القضاء على الخصوم والمعارضين المالكية من خلال تنظيم المناظرات بين رجال الأحناف والمالكية وزيادة المشاحانت بينهم دورا في اتساع شق الخلاف بين المذهبين، فبعد أن كانت علاقاتهم في بادئ الأمر تتسم بالسلمية، تغيرت بسبب المسائل الخلافية المستحدثة المتمثلة في القول بخلق القران ومسألة النبيذ والربا والتنازع على مناصب القضاء وبعض المسائل العقائدية التي تبناها المعتزلة والأحناف ودعمها أمراء بني الأغلب والتي كانت المصدر الأول للعداوة التي شبت بينهم وبين الفقهاء المالكية الذي وقفوا لها موقف الرافض والمعارض، فألف بن سحنون في مسألة النبيذ مؤلف تحريم المسكر و الربا و بعض المسائل العقائدية، وكان الأمراء الأغالبة لا يتهاونون في محاولتهم لإسكات أحد من الفقهاء المالكية، حتى لو تطلب منهم القتل والنفي والتعذيب والسجن، مثل ما فعلوا مع أبي إسحاق إبراهيم الذي جلد وجرد من ثيابه وقتل، وسحنون الذي جلد زيادة الله الأغلبي وغيرهم من الفقهاء المالكية كثير.

-إن استمرار النزاع و زيادة حدته بين أكبر مذهبين سنيين في العالم الإسلامي في تلك الفترة كان بسبب استناد كل فريق إلى أكبر قوة ممثلة في ذلك الوقت فقد كان المذهب المالكي مذهب العامة، أما المذهب الحنفي كان مذهب السلطة و ممثلها .

-إن نهاية مطاف الصراع الذي كان بين الأحناف و المالكية في ذلك الوقت كان لصالح المذهب المالكي و الدليل على ذلك استمراره إلى ما بعد زوال الدولة الأغلبية، إلا أن

***خاتمـــة**

المذهب الحنفي زال بزوال الدولة الأغلبية لأنه مذهب كان يستند على السلطة، ومن بقي منهم تشرقوا ودخلوا في دعوة الشيعي، ليواصل رجالات المذهب المالكي كفاحهم ضد اصحاب البدع مع عنصر الشيعة الذين تمكنوا من تأسيس دولة أزالت الدولة الأغلبية ودول أخرى.

-خلال القرون الأولى كانت الدعوة المذهبية هي لبنة أي كيان سياسي يراد تأسيسه، فهو الأساس لكل دولة، ضف إلى ذلك القاعدة الجماهيرية فإن توافق الإثنان وحصل رابط بينهما ففائدة ذلك تعود على بقاء الدولة وصمودها، وإن حصل التنافر فالخراب مصير الدولة وهذا ما لمسناه في تاريخ الدولة العبيدية، إذ كانت للمؤازرة الكتامية البربرية دور في نجاح الدعوة الشيعية في أول أمرها أيام أبو عبد الله الشيعي، لكن وبتولي عبيد الله المهدي لزمام الأمور وبداية زيغ الدعوة، صاحب ذلك نفور للعامة، الذين ما لبثتوا أن أعلنوا التنكر لهم في عدة أحداث .

-كانت معارضة العلماء المالكية للمد الشيعي منذ الوهلة الأولى، فما إن وصل عنهم من أخبار حتى أعدوا العدة لهم وحذروا الناس أيما تحذير من مغبة الوقوع في شراكهم فكانوا يتصدرون الناس بكل ما أتيح لهم من وسائل من أجل الذود عن دين الله وذب هذا المذهب عن المجتمع فجلسوا مع دعاتهم في مجالس المناظرة وأقاموا عليهم الحجة كما فعل سعيد بن الحداد وبن التبان، فما كان للعبيدين من سبيل غير التصفية فأباحوا فيهم التقتيل والتنكيل وتفننوا في ذلك، وهو مارأيناه في البحث .

-لقد كان لثورة أبو يزيد الخارجي دور كبير وأثر بالغ في إعادة النظر للعلاقة بين الشيعة العبيديين والعلماء المالكية فكانت كمنعرج في طريق علاقتهم كسرت خلالها أغلال الخوف والرهبة، وبات من الممكن رفع السيف ضد المارقة أصحاب البدع، وهو ما تجسد في أحداث التقتيل التي طالت الشيعة في عدة سنوات تلت ثورة النكاري .

***خاتمـــة**

-من خلال المقارنة بين الفترتين الأغلبية والعبيدية اتضح لنا الفرق الشاسع في الصراع، فالعهد العبيدي كان من أفضع الفترات مقارنة بالفترة الأغلبية، التي استعمل العبيديون أنواعا وأشكالا في التقتيل من تقطيع للأعضاء ورفس بالأقدام وجلد وصلب أشياء لم نرها ف العهد الأغلبي .

-من أبرز تجليات المذهب المالكي هو كثرة العلماء والفقهاء، الذين استطاعوا تكوين قاعدة جماهيرية صلبة يحسدون عليها، فمالت أنفس الناس إليهم، وجعلوهم ممثليهم، وهذه القاعدة الجماهيرية أضحت هاجسا أمام كل طالب للسلطة راغب في حكم البلاد والعباد، وبات من المستبعد غض الطرف عن هذا المذهب وأعيانه، وهو ما رأيناه مع المعز بن باديس الذي ما لبث أن رأى تلك الشعبية التي يحظى بها المالكية عند العامة حتى أعلنه مذهبا لدولته، فكانت كما يصطلح عليها المؤرخون بالقطيعة الكبرى، قاطعا لدابر الشيعة نهائيا ومخمدا بذلك الحركات المذهبية التي لم تعرف نشاطا منذ القطيعة، ومنهيا بذلك معانات المالكية وبداية عهد جديد تسيد فيه المذهب المالكي بلاد المغرب الإسلامي .

-إن انتشار الذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي وتجذره بالمنطقة كان بفضل رجال آثروا الثبات على الحق ونصرة دين الله ودفع كل بدعة وصد كل مبتدع على الانغماس في ملذات الحياة وتتبع السلاطين والتودد لهم، رجال صدق فيهم قول المولى عز وجل: **{مِنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَّنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً} سورة الأحزاب: 23**. فكان مذهب مالك مذهب رجال لا مذهب سلطان .

الملاحق

الملحق الأول: نص لمناظرة سعيد بن الحداد لعبيد الله المهدي في حديث { غدير خم }

وأنا أنظر إلى الإسناد، فقال لي أبو جعفر: (اقرأ)[31] قال: فقلت له: عرفت الحديث وهو حديث «غديرخُمّ»[32]: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[33]. وهو حديث صحيح، وقد رويناه[34]. فعطف عليٌّ عبيد الله (لعنة الله عليه)[31] فقال لي: فما[35] للناس لا يكونون عبيدنا؟ فقلت له: -أعز الله السيد- لم يرد ولاية الرّق، إنما أراد ولاية في الدين، قال: فقال لي: فهل[36] من شاهد من[37] كتاب الله عزّ وجلّ؟ فقلت: نعم. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون
[٣٢ ظ] الله/ولكن كونوا ربّانيين بمَا كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[38] فما لم يجعله الله عزّ وجلّ لنبي لم يجعله لغير نبي وعليّ لم يكن نبيًّا، إنمَا كان وزير النبي[39] ﷺ، فقال لي: انصرف لا ينالك أحد[40]، قال: فخرجت وصحبني البغدادي حتى خرجت وأومأ إليَّ فوقفت، فقال لي: اكتم هذا المجلس[41].

المالكي، رياض النفوس، ج2، ص ص 59،60

الملحق الثاني: نص مناظرة بين ابن التبان وبعض الدعاة العبيديين

كان عبد الله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدد في طلب العلماء ليشرّقهم ، (86) فطلب الشيخ ابا سعيد بن اخي هشام ، وابا محمد بن التبان وابا القاسم بن شبلون وابا محمد بن ابي زيد وابا الحسن القابسي فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام – وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير ما مرة ان اجتماعهم كان بدار ابي محمد بن أبي زيد – فقال لهم ابن التبان : انا امضي اليه واكفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم في داره ، – ويقال انهم ارادوا المسير اليه فقال لهم : انا امضي اليه ابيع روحي من الله دونكم ، لأنه ان أتي عليكم وقع على الاسلام وهن ، ويقال أنه قال لعبد الله هذا لما دخل عليه : جئتك من قوم ايمانهم مثل الجبال أقلهم يقينا أنا ، فحدث بعض من حضر قال كنت مع عبد الله – وقد احتفل مجلسه باصحابه وفيهم الداعيان ابو طالب وابو عبد الله لعنهما الله – وقد وجّه في (87) ابن التبان فاذا به داخل وعيناه تتوقدان كانهما عينا شجاع (88) فدخل وسلم ، وقال له : ابطات عنا يا ابا محمد ! فقال في شغلك كنت الفت كتابا في فضايل اهل البيت اتاني به المسفر – (89) واخرجه من كمه ودفعه اليه – فقال له يا ابا محمد ناظر هؤلاء الدعاة، قال بماذا ؟ قال في فضايل اهل البيت ! فقال لهما ما تحفظان في ذلك ؟ فقال له ابو طالب انا احفظ حديثان (ولحن) ثم سال الاخر فقال له وانا احفظ حديثان ايضا ، فقال له هذان الحديثان اللذان تحفظهما انت هما الحديثان اللذان يحفظهما هذا ؟ قال نعم، قال : هما يحفظان حديثان – ونطق بلحنهما – وانا احفظ من ذلك تسعين حديثا : فالاولى بهما الرجوع اليّ ، ثم قال عبد الله : يا ابا محمد من افضل ابو بكر او علي ؟ قال ليس هذا موضعه ، فقال لا بد ! قال ابو بكر افضل من علي ، فقال عبد الله : يكون ابو بكر افضل من خمسة جبريل سادسهم ؟ (90) فقال ابو محمد يكون علي افضل من اثنين الله ثالثهما ؟ (91) اقول لك ما بين اللوحين (92) وتقول لي اخبار الاحاد ؟ فضاق عبد الله فقال : من افضل عايشة او فاطمة فقال احد (93) من سؤالك اولا ! فقال لا بد فقال عائشة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم افضل من فاطمة ، قال فمن اين ؟ فقال قال الله تعالى : (يا نساء النبيء لستُنّ كاحد من النساء) فقام اليه بعض الدعاة فقال له : ايما افضل امراة ابوها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامها خديجة الكبرى وزوجها علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولداها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة او امراة امها رومان وابوها

عبد الله بن ابي قحافة ؟ فقال ابو محمد أيما افضل عندك امراة اذا طلقها زوجها او مات عنها تزوجت عشرين زوجا او امراة اذا مات عنها زوجها او طلقها لم تحل لمسلم ؟ فسكت ، وما زلت اسمع من شيخنا ابى الفضل البرزلي ينقل – غير ما مرة – انه قال لهم : الجواب عن ذلك من عشرة اوجه ، أحدها ما تقدم ، الثانى ان عائشة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم فى درجته ، وفاطمة مع علي بن ابي طالب في درجته ، ودرجة علي لا تساوي درجة النبي صلى الله عليه وسلم

الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص ص 91-93 .

قائمة المصادر و المراجع

القـرآن الكـــريـم (برواية ورش عن نافع)

المصادر

1-ابن الأثير (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، ر، تص: محمد يوسف الدقاق، ج6، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م، ط1 .

2--// //، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، لبنان، 2012، ط1.

3-التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، **رحلة التجاني**، تق: حسن جسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981، (د،ط).

4-الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة (209-298هـ)، **الجامع الكبير**. تح: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1 .

5-التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني (ت771هـ)، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، تح: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان، لبنان، 1998، ط1 .

6-ابن تيمية، تقي الدين أحمد الحراني(ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تخ: عامر الجزار و أنور الباز، ج20، دار الوفاء، مصر، 1998، ط1 .

7-ابن جزي، أبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي المالكي(693-741هـ)، **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، تح، محمد أمين الشنقيطي، (د،د)، المدينة المنورة، 2002، ط2 .

8-ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بت محمد بن علي (ت597هـ)، **صفة الصفوة**، تح: محمد عبد المعيد خان، ج2، وزارة المعارف، الهند، 1969، ط2 .

9-ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد (852هـ)، **تهذيب التهذيب**، ج10، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، 1909 .

10-ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي(ت628هـ)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة وعويس عبد الحليم، دار الصحوة، مصر، (د،ت)،

11-الخشني محمد بن حارث بن أسعد (ت371هـ)، **طبقات علماء افريقية**، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1413هـ-1993م، ط1 .

12-ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ) ، **المقدمة**. دار صادر، بيروت،، 2000م، ط1

13-// //، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ض: خليل شحادة، ج4، دار الفكر، لبنان، 200، (د،ط).

14-ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (608-781هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج4-ج5، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978 .

15-الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأزدي (605-696هـ)، **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، تص وتع: إبراهيم شتوح، ج1-ج2-ج3، مكتبة الخانجي، مصر 1968، ط2 .

16-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت758هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ج5-ج6-ج8-ج9-ج10-ج12، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971، (د،ط) .

17-الرعيني أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ .

18-الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح وتع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، تونس، 1994، ط1، ص ص 11-126.

19-الزهري، محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ)، **الطبقات الكبرى**، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ج7، القاهرة، 2001، ط1 .

20-ابن سعيد المغربي(ت685هـ)، **المُغرب في حلى المغرب**، تح و تع: شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، القاهرة، 2009، ط4 .

21-السلماسي، أبي زكريا يحيى بن إبراهيم (ت550هـ)، **منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة و مالك و الشافعي وأحمد**، تح: محمود عبد الرحمان قدح، الجامعة الإسلامية، السعودية، 2002، ط1 .

22-السيوطي جلال الدين (ت911)، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، لبنان، 2003، ط1 .

23-الشهرستاني ابن أبي بكر أحمد (ت548هـ)، **الملل والنحل**، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي وشركاه، مصر، 1968 .

24-ابن عبد البر، ابي عمر يوسف النمري القرطبي(ت463هـ)، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، مكتبة القدس، القاهرة، 1931، (د،ط) .

25-أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تص، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ .

26-إبن عذاري المراكشي، **البيان المغرب قي أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، لبنان، 1983، ط3 .

27-أبو العرب، محمد بن أحمد بن تيم(ت333هـ)، **المحن**، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2006، ط3 .

28-أبو العرب، محمد بن أحمد بن تيم(ت333هـ)، **طبقات علماء افريقية**، منشور مع طبقات الخشني، تح: محمد بن ابي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ج1 .

29-ابن فرحون المالكي(ت799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار التراث، القاهرة، (د،ت)، (د،ط) .

30-القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(ت544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج1-ج2-ج3-ج4-ج5-ج6-ج7، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ط2.

31-القاضي نعمان، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، 1986 .

32-ابن قتيبية، **كتاب الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها**، تح: ياسين محمد السواس ، ط1، دار الفكر ، سورية، 1999.

33-ابن قصار المالكي، أبي الحسن علي بن العمر البغدادي (ت398هـ)، **مقدمة في أصول الفقه**، تح، مصطفى مخدوم، دار المعلمة، الرياض، 1999، ط1 .

34-ابن كثير، الحافظ الدمشقي (ت774هـ)، **البداية والنهاية**، ج5-ج14، تح: عبد الله بن هبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، مصر، 1998م، ط1 .

35-مالك بن أنس، **موطأ الإمام مالك بن انس**، رواية ابن القاسم وتلخيص القابسي، تح و تع: محمد بن علوي بن عباس المالكي ،المجتمع الثقافي للطبع، الإمارات، 2004، (د،ط) .

36-المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد (ت،799هـ)، **رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**. تح: بشير بكوش، ج1-ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ط2 .

37-المقديسي شمس الدين (ت380هـ)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991 .

38-المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط: 1988م، ج2.

39-المقريزي، تقي الدين أحمد بن على (ت845)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: جمال الدين الشيال، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ط2 .

40-مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، دط .

41-النوبختي، الحسن بن موسى ، **فرق الشيعة**، منشورات الرضا، لبنان، 2012، ط1 .

42-أبو الوليد الباجي، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2001، ط3 .

43- الغزالي أبي حامد محمد (450-505هـ)، **المستصفى من علم الأصول**، اع: ناجي السويدي، ج1 ، المكتبة العصرية، بيروت، (د،ت) .

المراجع العربية

1-بلهواري فاطمة، **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك، الجزائر، 2011، (د،ط) .

2-الجابري محمد عابد ، **بنية العقل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ط9.

3-الجنحاني الحبيب ، **القيروان التأسيس والإزدهار**، (د،د)، تونس، 2009، (د،ط) .

4-الجيدي عمر ، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، الهلال العربية، الرباط، 1993، ط1.

5-ابو حبيب سعدي ، **سحنون مشكاة علم ونور**، دار الفكر للنشر، دمشق، 1981 .

6-حسن أحمد محمود وأحمد شريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، (د،ت) .

7-بن حمده عبد المجيد ، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس، 1986، ط1 .

8-حوالة يوسف بن أحمد ، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90/450هـ)**، ج1، جامعة أم القرى، مكة، 2000م، ط1 .

9-الخربوطلي علي حسين ، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، مصر 1972 .

10-دغفوس راضي ، **دراسات في تاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2005 .

11-الدقر عبد الغني ، **الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة**، دار القلم، دمشق، 1998، ط2.

12-ديدي علي بن الحبيب ، **مذكرة في أصول الفقه المالكي**، دار العوادي، المغرب، 2010، (د،ط) .

12-ذنون طه عبد الواحد ، وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2004، ط1 .

14-الزاوي الطاهر أحمد ، **الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية**، دار البيارق، عمان، 1999، ط1 .

15-الزركلي خير الدين ، **الأعلام** ،ج5-ج7 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ط1 .

16-أبو زهرة محمد ، **أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه وفقهه**، دط، دار الفكر العربي، مصر، 1955 .

17-أبو زهرة محمد ، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة ،(د،ت)، (د،ط) .

18-سنوسي يوسف إبراهيم، **زناتة والخلافة الفاطمية**، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986، ط1.

19-الشرحبيلي محمد بن حسن ، **تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطي**، مطبعة فضالة، المغرب، 2000، دط .

20-الشرقاوي عوض ، **التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م

21-الشعلان عبد الرحمن بن عبد الله ، **أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية**، الإدارة العامة للثقافة والنشر، الرياض، 2003.

22-الشكعة مصطفى ، **الأئمة الأربعة**، دار الكتاب المصري، مصر، 1990، ط2 .

23-طالبي محمد ، **الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184-296هـ- 800-909م)**، ط1، سوتيميديا لنشر وتوزيع، تونس، 2017 .

24-ظهير إحسان الهي ، **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1987 .

25-عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ط2 .

26-العمرجي أحمد شوقي إبراهيم ، **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية (من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله)**، ط1، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 2000 .

27-الغرياني محمد عز الدين ، **المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2010 .

28-فاديغا موسى، **أصول فقه المالكي أدلته العقلية**، ج1، دار التدمرية، السعودية ، 2007، ط1 .

29-القاضي أبو الفضل عياض، **تراجم أغلبية**، تح: محمد الطالبي، الجامعة التونسية، تونس، 1968م .

30-التليسي بشير رمضان ، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003، ط1 .

31-المالكي محمد بن علوي ، **إمام دار الهجرة مالك بن أنس**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ط2 .

32-المجدوب عبد العزيز ، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزرية**، دار سحنون، تونس، 2008، ط1 .

33-المحسي فخر الدين بن الزبير بن علي ، **شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم الغرناطي المالكي (ت859هـ)**، الدار الأثرية، الأردن، 2007، ط1 .

34-محمد زينهم محمد عزب، **الامام سحنون**، تق: حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة، طرابلس، لندن، 1992 .

35-محمد عز الدين الغرياني، **المذهب المالكي النشأة وأثره في الاستقرار الاجتماعي**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2010 ، (د،ط) .

36-محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري**، دار الثقافة، المغرب، 1985، ط2 .

37-مخلوف محمد بن محمد ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349،(د،ط) .

38-مؤنس حسين ، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 1998، ط1 .

39-ناجي جلول، **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999 .

40-الهنتاني نجم الدين ، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن5هـ/11م**، تبر الزمان، تونس، 2004 .

41-وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، **المذاهب الفقهية الأربعة (أئمتها-أطوارها-أصولها-آثارها)**، مر: أحمد الحجي الكردي وآخرون، دار الإفتاء، الكويت، 2015، ط1 .

42-الولاتي محمد يجيى لن محمد المختار (ت1330هـ)، **إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك**، تع: مراد بوضاية، دار ابن حزم، لبنان ، 2006، ط1 .

43-ولد أباه محمد مختار ، **مدخل إلى أصول الفقه المالكي**، دار الأمان، المغرب، 2011، ط1.

المراجع الأجنبية

1-ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987، ط3.

2-هاينتس هالم، **إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين**، تح: محمود كبيبو، دار الوراق، لبنان، 2013م، ط1 .

3-فرهاد دفتري، **الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم**، تر: سيف الدين القصير، دار السافي، لبنان، 2012م، ط1 .

الرسائل الجامعية

1-حاتم باي، **الأصول الاجتهادية التي بني عليها المذهب المالكي**، رسالة دكتوراه في الفقه و أصوله سنة 2006، كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، الأردن .

2-حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية (2-5هـ/8-11م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2008 .

3-حكمت عبد الرؤوف حسن مصلح، **المقارنة بين السلم والربا في الفقه الإسلامي دراسة فقهية معاصرة**، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة نجاح الوطنية، فلسطين، 2007.

4-بن زاوي طارق، **إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/ 1016-1062م)**، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008-2009م .

5--عبد القادر رضوان فاطمة ، **مدينة القيروان في العهد الأغلبي 184هـ-296هـ**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، االسعودية، 1991م .

6-عليلي محمد، **الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستمين خلال القرنين (2- 3هـ/8-9م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان، 2007-2008 .

7-منى الرفاعي، **الاستحسان عند الإمام مالك**، رسالة ماجستير في الفقه الإسلامي وأصوله، 2015، كلية الشريعة للدراسات العليا، دمشق

8-نوار نسيم، **النزاع السني الشيعي وأثره في تجديد المذهب المالكي**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر2 بوزريعة ، الجزائر، 2010م .

9-يمينة كبداس، **الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296هـ-361هـ)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2016م .

الدوريات

1-الطيب بوسعد، **المذهب الحنفي في المغرب الأدنى بين جهود العلماء والتجار و غوائل السياسة (ق2- 4هـ/8- 10م)**، مجلة الصراط، العدد 34، جامعة البليدة، ديسمبر 2016 .

2-عمر الجيدي، **أسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، دعوة الحق، العدد 223، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية، 1982 .

3-فاطمة بلهواري، تحديات **وصمود علماء المالكية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري/10م –أحداث وحيثيات**، جامعة وهران، الجزائر

4-كامل صبحي كامل صلاح، **الاستصحاب وأثره في الأحكام الفقهية**، مجلة القلم (علمية – محكمة)، اليمن ،العدد3 ، 2015 .

5-محمد منصور علي بلعيد، **أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي**، الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، 2013 .

6-نجم الدين الهنتاني، **الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 44، 2000م .

7-نوار نسيم، **المذهب المالكي ببلاد المغرب حتى نهاية القرن 4هـ/10م**، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، العدد 9، 1439هـ/2018م.

8-هند يوسف مجيد، **الإسهامات الفكرية للموالي**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، عدد 9، مجلد 14، 2007 .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية الكريمة	السورة	رقم الآية	الصفحة
{ يَأَيُهَا الذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلًا . {	سورة النساء	58	18
{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُومِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }	سورة النساء	115	20
{فَقَتِلُوا أَيمَّةَ الكُفرِ إِنَهُم لَآ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ }	سورة التوبة	12	91
{ قَتلُوهُمْ يُعَذّبْهُمُ الله بأَيْديكُمْ وَيُخْزِهُمْ وَيَنصرْكُمْ عَلَيهمْ وَيَشْف صُدُورَ قَوْمٍ مُّومنينَ }	سورة التوبة	14	91
{ الاَّ تَنصُرُوه فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذَ اَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا في الغَار إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَاَ تَحْزَنِ اِنَّ االه مَعَنَا }	سورة التوبة	40	92
{ قُل لَّئِنِ اِجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْءانِ لَا يَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهَمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }	سورة الإسراء	88	18
{ وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ اِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا اَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَّلَّ ضَلَلًا مُبِينًا }	سورة الأحزاب	36	19
{ لَّا يَاتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }	سورة فصلت	40	18
{مِنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضى نَحْبَهُ وَمنْهُم مَّنْ يَّنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً}	سورة الأحزاب	23	106

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ز
الفصل الأول: المذهب المالكي وعوامل انتشاره ببلاد المغرب الإسلامي.....	8-36
1/ الإمام مالك بن أنس (93-179هـ)	9-16
2/ أصول المذهب المالكي	16-22
3/ أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي	22-31
4/ أبرز العلماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي	31-36
الفصل الثاني: صراعات وتحديات الفقهاء المالكية في العهد الدولة الأغلبية..	37-65
1/ نزاعات الفقهاء المالكية مع الأمراء الأغالبة	38-44
2/ الصراع السني المالكي الحنفي.....	44-54
3/ المالكية وموقفهم من الفكر الإعتزالي	54-61
4/ انعكاسات الصراع على واقع الفقهاء المالكية	61-65
الفصل الثالث: نائبة المالكية وكفاحهم ضد الشيعة الإسماعيلية	66-101
1/ الدعوة الشيعية وموقف المالكية منها	67-76
2/ سياسة العبيديين القمعية على الفقهاء المالكية	76-88
3/ المالكية وثورة أبي يزيد الخارجي	88-94
4/ نتائج الصراع المالكي الشيعي على المستويين السياسي والفكري....	94-101
خاتمة	101-106
الملاحق	107-110
قائمة المصادر والمراجع	111-123
فهرس الآيات القرآنية.....	125
فهرس الموضوعات	126

... انتهى ولله الحمد .